الباب الاول

العصر الجاهلي

الفصل الاول

نشأة اللغة العربية

اللغة العربية إحدى اللغات السامية. انشعبت هي وهن من أرومة واحدة نبتت في أرض واحدة. فلما خرج الساميون من مهدهم لتكاثر عددهم آختلفت لغتهم الأولى بالاشتقاق والاختلاط، وزاد هذا الاختلاف آنقطاعُ الصلة وتأثير البيئة وتراخي الزمن حتى أصبحت كل لهجة منها لغة مستقلة.

ويقال إن أحبار اليهود هم أول من فطن إلى ما بين اللغات السامية من علاقة وتشابه في أثناء القرون الوسيطة، ولكن علماء المشرقيات من الأوروبيين هم الذين أثبتوا هذه العلاقة بالنصوص حتى جعلوها حقيقة علمية لا إبهام فيها ولا شك.

والعلماء يردون اللغات السامية إلى الآرامية والكنعانية والعربية، كما يردُّون اللغات الآرية إلى اللاتينية واليونانية والسنسكريتية. فالآرامية أصل الكلدانية والأشورية والسريانية، والكنعانية مصدر العبرانية والفينيقية، والعربية تشمل المضَرية الفصحى ولهجات مختلفة تكلمتها قبائل اليمن والحبشة. والراجح في الرأي أن العربية أقرب المصادر الثلاثة إلى اللغة الأم، لأنها بآنعزالها عن العالم سلمت مما أصاب غيرها من التطور والتغيّر تبعاً لأحوال العمران.

وليس في مقدور الباحث اليوم أن يكشف عن أطوار النشأة الأولى للغة العربية، لأن التاريخ لم يسايرها إلا وهي في وفرة الشباب والنماء. والنصوص الحجرية التي أخرجت من بطون الجزيرة لا تزال لندرتها قليلة الغناء؛ وحدوث هذه الأطوار التي أتت على اللغة فوحّدت لهجاتها وهذبت كلماتها معلوم بأدلة العقل والنقل، فإن العرب كانوا أميين لا تربطهم تجارة ولا إمارة ولا دين، فكان من الطبيعي أن ينشأ من ذلك ومن اختلاف الوضع والارتجال، ومن كثرة الحل والترحال، وتأثير الخلطة والاعتزال، اضطراب في اللغة كالترادف، واختلاف اللهجات في الإبدال والإعلال والبناء والإعراب، وهَنات المنطق

كعجعجة[1] قُضاعَة، وطمطمانيّة[2] حِمْير، وفحفحة[3] هذيل، وعنعنة[4] تميم، وكشكشة[5] أسد، وقطْعَةِ[6] طيىء، وغير ذلك مما باعد بين الألسنة وأوشك أن يقسم اللغة إلى لغات لا يتفاهم أهلها ولا يتقارب أصلها.

ولغات العرب على تعددها واختلافها إنما ترجع إلى لغتين أصليتين: لغة الشمال ولغة الجنوب. وبين اللغتين بون بعيد في الإعراب والضمائر وأحوال الاشتقاق والتصريف، حتى قال أبو عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا». على أن اللغتين وإن اختلفتا لم تكن إحداهما بمعزل عن الأخرى، فإن القحطانيين جلوا عن ديارهم بعد سيل العرم ـ وقد حدث عام ٤٤٧ م كما حققه غلازر الألماني ـ وتفرقوا في شمال الجزيرة واستطاعوا بما لهم من قوة، وبما كانوا عليه من رقي، أن يخضعوا العدنانيين لسلطانهم في العراق والشام، كما أخضعوهم من قبل لسلطانهم في اليمن. فكان إذن بين الشعبين اتصال سياسي وتجاري يقرب بين اللغتين في الألفاظ، ويجانس بين اللهجتين في المنطق، دون أن تتغلّب إحداهما على الأخرى، لقوة القحطانيين من جهة، ولاعتصام العدنانيين بالصحراء من جهة أخرى. وتطاول الأمد على هذه الحال حتى القرن السادس للميلاد، فأخذت دولة الحميريين تزول وسلطانهم يزول بتغلب الأحباش على اليمن طوراً وتسلّط الفرس عليه طوراً آخر. وكان العدنانيون حينئذ على نقيض هؤلاء تتهيأ لهم أسباب النهضة والألفة والوحدة والاستقلال، بفضل الأسواق والحج، ومنافستهم للحميريين والفرس، واختلاطهم بالروم والحبشة من طريق الحرب والتجارة، ففرضوا لغتهم وأدبهم على حمير الذليلة المغلوبة، ثم جاء الإسلام فساعد العوامل المتقدمة على محو اللهجات الجنوبية وذهاب القومية اليمنية، فاندثرت لغة حِمير وآدابهم وأخبارهم حتى اليوم.

لم تتغلب لغات الشمال على لغات الجنوب فحسب، وإنما استطاعت كذلك أن تبرأ مما جنته عليها الأمية والهمجية والبداوة من اضطراب المنطق واختلاف الدلالة وتعدد الوضع، فتغلبت منها لغة قريش على سائر اللغات لأسباب دينية واقتصادية واجتماعية أهمها:

---

(١) العجعجة: وهي قلب الياء جيماً بعد العين وبعد الياء المشددة، مثل: راعي يقولون فيها: راعج. وفي كرسي كرسج.

(٢) الطمطمانية: هي جعل أم بدل أل في التعريف، فيقولون في البر: أمير، وفي الصيام أمصيام.

(٣) الفحفحة: هي جعل الحاء عيناً، مثل: أحل إليه فيقولون أعل إليه.

(٤) العنعنة: هي إبدال العين في الهمزة إذا وقعت في أول الكلمة، فيقولون في أمان: عمان.

(٥) الكشكشة: جعل الكاف شيناً مثل: عليك فيقولونها: عليش.

(٦) القطعة: هي حذف آخر الكلمة، مثل قولهم: يا أبا الحسن، تصبح: يا أبا الحسا.

١ ـ الأسواق: وكان العرب يقيمونها في أشهر السنة للبياعات والتَّسوُّق وينتقلون من بعضها إلى بعض، فتدعوهم طبيعة الاجتماع إلى المقارضة بالقول، والمفاوضة في الرأي، والمبادهة بالشعر، والمباهاة بالفصاحة، والمفاخرة بالمحامد وشرف الأصل فكان من ذلك للعرب معونة على توحيد اللسان والعادة والدين والخلق، إذ كان الشاعر أو الخطيب إنما يتوخى الألفاظ العامة والأساليب الشائعة قصداً إلى إفهام سامعيه، وطمعاً في تكثير مشايعيه. والرواة من ورائه يطيرون شعره هم القبائل وينشرونه في الأنحاء فتنتشر معه لهجته وطريقته وفكرته.

وأشهر هذه الأسواق عكاظ ومجنة وذو المجاز. وأولاهن أشهر فضلاً وأقوى أثراً في تهذيب العربية. كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر إلى العشرين منه، فتفد إليها زعماء العرب وأمراء القول للمتاجرة والمنافرة ومفاداة الأسرى وأداء الحج. وكان كل شريف إنما يحضر سوق ناحيته إلا عكاظ فإنهم كانوا يتوافدون إليها من كل فج، لأنها متوجَّهُهُم إلى الحج، ولأنها تقام في الأشهر الحرم، وذلك ولا ريب سر قوتها وسبب شهرتها. وكان مرجعهم في الفصل بينهم إلى محكمين اتفقوا عليهم وخضعوا لهم فكانوا يحكمون لمن وضح بيانه وفصح لسانه.

٢ ـ أثر مكة وعمل قريش: كان لموقع مكة أثر بالغ في وحدة اللغة ونهضة العرب، لأنها كانت في النصف الثاني من القرن السادس محطاً للقوافل الآتية من الجنوب تحمل السلع التواجر من الهند واليمن فيبتاعها المكّيون ويصرفونها في أسواق الشام ومصر. وكانت جواد مكة التجارية آمنة لحرمة البيت ومكانة قريش، فكان تجّارهم يخرجون بقوافلهم الموقرة وعِيرهم الدَّثْر آمنين، فينزلون الأسواق ويهبطون الآفاق فيستفيدون بسطة في العلم، وقوة في الفهم، وثروة في المال، وخبرة بأمور الحياة: وهي مع ذلك متجرة للعرب ومثابة للناس يأتون إليها من كل فج عميق رجالاً وعلى كل ضامر ليقضوا مناسكهم ويشتروا مرافقهم مما تنتجه أوتجلبه. ذلك إلى أن قريشاً أهلها وأمراءها كانوا لمكانتهم من الحضارة وزعامتهم في الحج، ورياستهم في عكاظ، وإيلافهم رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى حوران أشد الناس بالقبائل ارتباطاً، وأكثرهم بالشعوب اختلاطاً. كانوا يختلطون بالحبشة في الجنوب، وبالفرس في الشرق، وبالروم في الشمال. ثم كانوا على أثارة من العلم بالكتب المنزلة: باليهودية في يثرب وما جاورها من أرض خيبر وتيماء، وبالنصرانية في الشام ونجران والحيرة؛ فتهيأت لهم بذلك الوسائل لثقافة اللسان والفكر. ثم سمعوا المناطق المختلفة، وتدبروا المعاني الجديدة، ونقلوا الألفاظ المستحدثة، واختاروا لغتهم من أفصح اللغات، فكانت أعذبها لفظاً، وأبلغها أسلوباً، وأوسعها مادة، ثم أخذ الشعراء يؤثرونها وينشرونها حتى نزل بها القرآن الكريم فأتم لها الذيوع والغلبة.

الفصل الثاني

النثـــر

النثر أسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله، وعدم تقيده، وضرورة استعماله. وهو نوعان: مسجَّع إن التزم في كُل فقرتين أو أكثر قافية، ومرسل إن كان غير ذلك. وقد كان العرب ينطقون به معرباً غير ملحون لقوة السليقة، وفعل الوراثة، وقلة الاختلاط بالأعاجم. اللهم إلا هيئات المنطق فقد اختلفت لأسباب طبيعية في الترقيق والتفخيم والإبدال والإمالة. ولم يُعن الرواة من منثورهم على كثرته إلا بما علق بالذهن لنفاسته وبلاغته وإيجازه، كالأمثال والحكم والوصايا والخطب والوصف والأقاصيص.

فالمثل جملة مقتطعة من القول أو مرسلة بذاتها تنقل عمن وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير. وهذا النوع خاص بالعرب لانتزاعه من حياتهم الاجتماعية وحوادثهم الفردية، كقولهم: وافق شَنّ طبقةَ. ولأمر ما جدع قَصِيرُ أنفه. ويداك أوكتا وفوك نفخ. وقد تعاقب العلماء على جمعها وشرحها. وأشهر هؤلاء الميداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ، فقد جمع كتابه: [مجمع الأمثال] من نحو خمسين كتاباً، وكاد يستوعب فيه المأثور من القديم والمشهور من الحديث ورتبه على حروف المعجم.

والحكمة قول رائع موافق للحق سالم من الحشو. وهي ثمرة الحُنكة ونتيجة الخبرة وخلاصة التجربة، كقولهم: الخطأ زاد العَجول. من سلك الجَدد أَمِن العثار. عِيٌّ صامت خير من عيّ ناطق.

والخطبة والوصية كلتاهما يراد بها الترغيب فيما ينفع وعما يضر، إلا أن الأولى تكون على ملأ من الناس في المجامع والمواسم. والأخرى تكون لقوم معينين في زمن معين، كوصية الرجل لأهله عند النقلة أو الموت.

مميزات النثر الجاهلي:

يمتاز النثر في الجاهلية بجريانه مع الطبع، فليس فيه تكلف ولا زُخْرُف ولا غُلُو. يسير مع أخلاق البدوي وبيئته، فهو قوي اللفظ، متين التركيب، قصير الجملة، موجز الأسلوب،

قريب الإشارة، قليل الاستعارة، سطحيُّ الفِكرة. وربما تساوَقت فيه الْحِكم وآطّردت الأمثال من غير مناسبة قوية ولا صلة متينة.

الخطابة:

الخطابة كالشعر لحمْتُها الخيال وسُدَاها البلاغة. وهي مظهر من مظاهر الحرية والفروسية، وسبيل من سُبل التأثير والإقناع. تحتاج إلى ذَلاقة اللسان ونَصاعة البيان، وأناقةِ اللهجة، وطلاقة البديهة. والعرب ذوو نفوس حساسة وإباء، وأولو غيرة ونجدة. فكان لهم فيها القدم السابقة والْقِدْحُ الْمُعَلّي. وقد دعاهم إليها ما دعا الأمَم البدوية من الفخر بحسبها ونِجَارها، والذَّود عن شرفها وذمارها، وإصلاح ذات الْبين بين الحيّين، والسفارة بين رؤس القبائل وأقيالهم، أو بين الملوك وعمالهم. وكانوا يدربون فتيانهم عليها منذ الحداثة، ويحرصون على أن يكون لكل قبيلة خطيب يشد أزرها، وشاعر يرفع ذكرها. وربما آجتمع الصفتان في واحد.

أما أُسلوبها فكان رائع اللفظ، خلاب العبارة، واضح المنهج، قصير السجع، كثير الأمثال. وهم إلى قصارها أميل لتكون أعلق بالصدور وأذْيع.

ومن عاداتهم فيها الوقوف على نشز من الأرض أو القيام على ظهر دابة، ورفع اليد ووضعها، والاستعانة على العبارة بالإشارة، وآتخاذ المخاصر بأيديهم؛ والاعتماد على الصفاح والرماح أو الإشارة بها.

وكانوا يحبون من الخطيب أن يكون حسن الشارة، جهير الصوت، سليم المنطق، ثبتَ الجنان. وأشهر خطبائهم في هذا العصر قسُّ بن ساعدة الأيادي، وعمرو بن كلثوم التغلبي، وأكثم بن صيفي التميمي، والحارث بن عباد البكري، وقيس بن زهير العبسي، وعمرو بن معد يكرب الزُّبيدي، وحسبنا أن نترجم لخطيبين من أعلامهم وقوفاً بالطلب عند الغرض من هذا المختصر.

الخطباء

١ ــ قس بن ساعدة الإيادي

٢٢٠ ≃ ٦٠٠ م

٤٠٣ ق هـ ≃ ٢٣ ق هـ

حياته: هو أسقف نجران وخطيب العرب وحكيمها وحَكَمُها. كان يؤمن باللّه ويدعو

---

١ ـ انظر ترجمته في: النوادر: ص ٢٦٢، والمحبر: ص ١٣٦، ٢٣٨، وتاريخ الطبري: ٢/٨٣٦، =

إليه بالحكمة والموعظة الحسنة. ويقال إنه أول من خطب على شرف، وآتكأ على سيف، وقال في خطبه أما بعد. سمعه النبي ﷺ في عكاظ فأثنى عليه. ويروى أنه قال فيه: «رحم اللّه قساً! إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده». وكان يفد على قيصر من حين إلى حين فيكرمه. ولكنه صدف عن الدنيا وعاش على الكفاف يعبد اللّه ويعظ الناس حتى توفي سنة ٦٠٠ م، وقد عمَّر طويلاً.

أسلوبه: إن صح ما أثر عنه من النثر فقد كان أسلوبه مطبوعاً مسجوعاً، شديد الروعة، متخير اللفظ، قصير الفواصل. يعمد فيه إلى ضرب الأمثال واستنتاج العبر من مصارع الطغاة وظواهر الكون. وله شعر يجمع إلى الجزالة رقة التعبير وقوة التأثير كما يتجلى ذلك فيما سنورده من كلامه [1].

قال من خطبته في سوق عكاظ:

أيها الناس! اسمعوا وعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مُدْحاة، وأنهار مجراة. إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعِبرا. ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ يا معشر إياد، أين الآباء والأجداد، وأين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالاً وأطول آجالاً؟ طحنهم الدهر بكلكله، ومزقهم بتطاوله.

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يسعى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إليَّ ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

ومن حكمه: مَن عيَّرك شيئاً ففيه مثله. ومن ظلَمك وجد من يظلمه. وإذا نهيت عن الشيء فآبدأ بنفسك. وكن عفَّ العَيْلة مشترك الغنى. ولا تشاور مشغولاً وإن كان حازماً، ولا جائعاً وإن كان فهماً، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً. ومن شعره قوله يرثي أخوين له وقد وقف على قبريهما بدير سمعان:

خليليَّ هُبا طالما قد رقدتما ... أجدَّ كما لا تقضيان كراكما!

= والأغاني ١٥/٢٤٦ - ٢٥٠، ومعجم الشعراء: ص ٣٣٨، ومجمع الأمثال: ١/٩٧، والأعلام للزركلي: ٥/١٩٦.

(١) قيل: إنه توفي وله من العمر ثلاثمائة وثمانون سنة.

ألم تعلما أني بسمعان مفردٌ ... ومالِيَ فيه من حبيب سواكما؟
أقيم على قبريكما لست بارحاً ... طَوَّال الليالي أو يحيبَ صداكما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما ... كأن الذي يسقي العقار سقاكما!
فلو جُعلت نفسٌ لنفس وقايةً ... لجدتُ بنفسي أن تكون فداكما
سأبكيكما طول الليالي وما الذي ... يرد على ذي عَولة إن بكاكما!

٢ ــ عمرو بن معد يكرب الزبيدي

٥٣٥ ـ ٦٤٣ م

٨٩ ق هـ ـ ٢١ هـ

حياته: عمرو بن معد يكرب الزبيدي فارس اليمن وخطيب العرب وبطل القادسية، ينتهي نسبه إلى قحطان ويكنى أباثور. لقي النبي ﷺ لَدَى منصرفه من تَبُوك سنة تسع من الهجرة فأسلم هو وقومه، ولكن قلبا شاب في الجاهلية الجهلاء، ورتع في الدماء والأشلاء، وآستهتر في اللهو والصهباء، لا يقبل على الدين بإخلاص وصدق، فآرتد بعد إسلامه. ثم رجع إلى الحق وجاهد في سبيل الله حق جهاده. ثم شهد القادسية وعمره على ما قيل عشر سنين ومائة، فأبلى فيها بلاء حسناً. ثم توفي في أواخر خلافة عمر بن الخطاب سنة ٦٤٣ م.

صفته ومنزلته: كان قوياً بديناً أكولاً، وكان سيداً مطاعاً وبطلاً شجاعاً وخطيباً شاعراً؛ يعد في الطبقة الثانية من الشعراء، وفي الأولى من الخطباء، ويغلب في شعره التحدث عن نفسه بالشجاعة. يقال إن النعمان بن المنذر أرسله فيمن أرسل من سَراة العرب إلى أُنوشِرْوان بالمدائن ليكون كلامهم بين يديه مصداقاً لدعواه في العرب وآفتخاره بهم وتفضيله إياهم فألقى هذه الخطبة:

إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فبلاغ المنطق السداد، ومِلاك النُّجعة الارتياد، وعفو الرأي خير من آستكراه الفكرة، وتوقيف الخبرة خير من آعتساف الحيرة. فآجتبذ طاعتنا بلفظك؛ وآكتظم بادرتنا بحلمك، وألن لنا كنفك يَلِن لك قيادُنا. فإنا أناس لم يُوقِّصْ صَفَاتَنَا قِراعْ مناقير من أراد لنا قضماً، ولكن منعنا جماناً من كل من رام لنا هضماً.

---

٢ ـ انظر ترجمته في: جمهرة النسب، ترتيب كاسكال: ٢/١٧٨، وطبقات ابن سعد: ٥/٣٨٣، والأغاني: ١٥/٢٠٨ ـ ٢٤٤، والمؤتلف والمختلف: ص ١٥٦، وسمط اللآلي: ص ٦٤، والإصابة: ٣/٣٣ ـ ٣٩، وخزانة الأدب: ١/٤٢٥ ـ ٤٢٦، والأعلام للزركلي: ٥/٢٦٠ ـ ٢٦١.
وانظر ما كتبه بلاشير في كتابه: تاريخ الأدب العربي: Blachère, Histoire 283-284، **وما كتبه نالينو في كتابه: تاريخ الآداب العربية**: Nallino. Litt. ar. 76-77.

ومن شعره قوله في أُبيٍّ الْمُرادي وقد توعده:

أعاذلَ شِكتي بدني ورمحي ... وكلُّ مُقَلّصٍ سلس القياد
أعاذل إنما أفني شبابي ... وقرْح عاتقي ثقل النجاد
تمناني ليلقاني أبيٌّ ... ودِدْت وأينما مني ودادي
ولو لاقيتني ومعي سلاحي ... تكشف شحم قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد قتلي! ... عَذيرَكَ من خليلك من مُراد!

وقوله:

ليس الجمال بمئزر ... فاعلم وإن ردَّبت بُردا
إن الجمال معادن ... ومناقب أورثن مجدا
أعددت للحدثان سا ... بغَة وَعَدَّاءَ عَلَنْدى!
نهْداً وذا شُطَبٍ يَقُدّ ... البيض والأبدان قدا
كم من أخ لي صالح ... بوَّأته بيديَّ لحدا
ما إن جزعت ولا هَلعـ ... ـت ولا يرد بكاي رشْدا
ذهب الذين أحبهم ... وبقيت مثل السيف فردا

نماذج من النثر الجاهلي

من الأمثال:

قالت العرب في أمثالها:

(إذا سَلمتِ الجلة فالنّيبُ هَدَرٌ) أي إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به.

(إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً) يضرب للمدلِ بنفسه إذا مُني بمن هو أدهى منه.

(إنك لا تجني من الشوك العنب) أي لا تجد عند ذي المنبت السوء جميلاً.

(ذكرني فوك حمارَيْ أهلي) أصله أن رجلاً خرج يطلب حمارين ضلاً له، فرأى امرأة فأعجبته، فنسي الحمارين. فلما أسفرت عن وجهها رأى فمها قبيحاً فقال هذا المثل.

(تجَشَّأْ لقمان من غير شِبَع) يضرب لمن يدَّعي ما ليس يملك.

(رمتني بدائها وانسلَّتْ) يضرب لمن يُعير الآخر بما يُعير هو به.

(ربَّ كلمة تقول لصاحبها دعني) يضرب في النهي عن الإكثار مخافة الإهجار.

(أسَرْ حَسْواً في ارتغاء) يضرب لمن يريك أنه يعينك وهو يجر النفع إلى نفسه. وأصله أن الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة فيشربها وهو في ذلك ينال من اللبن.

(أوسعتهم سبًّا وأودَوْا بالإبل).. أصله أن رجلاً أُغِيرَ على إبله فأُخذت، فلما توارى

المغيرون بها صعد أكمَةً وجعل يسبهم، ثم رجع إلى قومه فسألوه عن إبله، فقال هذا المثل.

(أحَشَفاً وسوء كِيَلةٍ؟..) يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين.

(قد يحمل العَير من ذعر على الأسد) يضرب لمن يأخذه الدهش والرَّوع فحمله على ما ليس من طبعه.

(قبل الرَّمْي يُراش السهم..) يضرب للاستعداد للأمر قبل نزوله.

من الحكم:

ومن حكم العرب قولهم: مصارع الرجال تحت بروق الطمع. كلْم اللسان أنكى من كلم السنان. رب عَجلة تهب ريْثاً. العتاب قبل العقاب. التوبة تغسل الحوبة. من سلك الجدد أمن العثار. أول الحزم المشورة. رب قول أنفذ من صول. أنجز حر ما وعد. اترك الشر يتركك. من ضاق صدره آتسع لسانه. يدك منك وإن كانت شلاء. رب ملوم لا ذنب له. مِن مأمنه يؤتي الحذِر.

الخطب:

قال هانىء بن قبيصة الشيباني لقومه يحرضهم، وهو يدلك على مذهب الجاهليين في النثر من تفكك المعاني وضعف ارتباط الجمل:

يا معشر بكر! هالك معذور، خير من ناج فرور. إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر. المنية ولا الدنية. استقبال الموت خير من استدباره. الطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور. يا آل بكر، قاتلوا فما من المنايا بد!.

وخطب عبد المطلب عند سيف بن ذي يزن بعد انتصاره على الحبشة قال: وإن اللّه تعالى أيها الملك أحلك محلاً رفيعاً، باذخاً شامخاً، وانبتك منبتاً طابت أرومته، وعزت جرثومته، ونبل أصله، وبسق فرعه، في أكرم معدن وأطيب موطن فأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي به تخصب، وملكها الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه تلجأ العباد. سلفك خير سلف، وأنت لنا بعده خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه. نحن أيها الملك أهل حرم اللّه وذمته وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا بكشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة.

من الوصايا:

أوصى زهير بن جناب الكلبي بنيه قال:

يا بني كبرت سني، وبلغت حرصاً من دهري، فأحكمتني التجارب، والأمور تجربة

وآختيار. فآحفظوا عني ما أقول وعوه. إياكم والحور عند المصائب، والتواكل عند النوائب، فإن ذلك داعية للغم، وشماتة للعدو، وسوء ظن بالرب وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين، ولها آمنين، ومنها ساخرين، فإنه ما سخر قوم قط إلا آبتلوا، ولكن توقعوها، فإن الإنسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة. فمقصر دونه، ومجاوز لموضعه، وواقع عن يمينه وشماله، ثم لا بد أن يصيبه.

وأوصت أعرابية ابنتها ليلة زفافها قالت:

أي بنية! إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك. ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل. ولو أن امرأة آستغنت عن الزوج لغني أبويها، وشدة حاجتهما إليها، لكنت أغنى الناس.

أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه. فآحملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً: آصحبيه بالقناعة، وعاشريه بحسن السمع والطاعة، وتعهدي موقع عينيه فلا تقع عينه منك على قبيح، ثم آعرفي وقت طعامه، وآهدئي عند منامه. فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة. ثم آتقي مع ذلك الفرح أمامه إن كان ترحاً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير. وكوني أشد الناس له إعظاماً، يكن أشدهم لك إكراماً. وآعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت أو كرهت. واللّه يخير لك.

وأوصت أعرابية ولدها قالت:

أي بني! إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين. وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً. وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما آعتورت السهام غرضاً إلا كلَمته حتى يهى[1] ما آشتد من قوته. وإياك والجود بدينك والبخل بمالك. وإذا هززت فآهزز كريماً يلنْ لهزتك، ولا تهزز لئيماً فإن الصخرة لا ينفجر ماؤها. ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فآعمل به، وما آستقبحت من غيرك فآجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه. ومن كانت مودَّته بشرَه وخالفَ ذلك منهُ فِعلُهُ، كان صديقه منهُ على مثل الريح في تصرفها. والغَدْرُ أقبح ما تعامل به الناس بينهم. ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحُلة ربْطتها وسريالها[2].

---

(١) يهى: أي: يضعف.

(٢) السريال: وهو القميص. كل ثوب رقيق يشبه الملحفة.

الفصل الثالث

الشعـر

تعريفه وأوليته:

الشعر هو الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلَةِ البديعة والصوُّر المؤثرة البليغة. وقد يكون نثراً كما يكون نظماً. والشعر أقدم الآثار الأدبيـة عهداً لعـلاقته بـالشعور وصلتـه بالطبع، وعدم احتياجه إلى رقى في العقل، أو تعمق في العلم، أو تقدم في المدنية. ولكن أوليَّتَه عند العرب مجهولة، فلم يقع في سماع التاريـخ إلا وهو محكم مُقَصَّـد. وليس مما يَسوغ في العقل أن الشعر بدأ ظهوره على هذه الصورة الناصعة الرائعة في شعر المهلهل بن ربيعة وامرىء القيس، وإنما اختلفت عليه العُصُر وتقلبت به الحوادث وعملت فيه الألسنـة حتى تهذب أسلوبه وتشعبت مَناحيه. والمظنون أن العرب خَطوْا من المـرسل إلى السجـع ومن السجع إلى الرجز، ثم تدرجوا من الرجز إلى القصيد. فـالسجع هـو الطور الأول من أطـوار الشعر تـوخاه الكهـان مناجـاة للآلهـة، وتقيـيداً للحكمـة، وتعمية للجـواب، وفتنـة للسامع. وكهان العرب ككهان الإغريق هم الشعـراء الأولون، زعمـوا أنهم مهبط الإلهام، وأنجياء الآلهة، فكانوا يسترحمونها بالأناشيد، ويستلهمونها بالأدعية، ويخبرون الناس بأسرار الغيب في حمل مقفاه موقعة أطلقوا عليها اسم السجع تشبيهاً لها بسجع الحمامة لما فيها من تلك النغمة الواحدة البسيطة.

فلما ارتقى فيهم ذوق الغناء، وانتقل الشعر من المعابد إلى الصحـراء، ومن الدعـاء إلى الحداء، اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز.

ثم تعـددت الأوزان بتعدد الألحـان، فكان للحمـاسة وزن، وللغـزل وزن، وللهـزج وزن، وهكذا إلى سائر الأوزان التي حصرها الخليل بن أحمد في خمسة عشر وزناً سماها بحوراً.

فأنت ترى أن الشعر مصدره الغناء، وفي أخذهم السجع من هديل الحمامة، والرجز

من إيقاع مشي الناقة، ولفظ الشعر من (شير) العبرية بمعنى الترتيلة أو التسبيحة، وقولهم إلى الآن: أنشد الشعر بمعنى ألقاه، ما يؤيد ذلك.

الشعر والعرب:

العرب أشعر الساميين فطرة، وأبلغهم على الشعر قدرة، لاتساع لغتهم للقول، وملاءمة بيئتهم للخيال، وصفاء قريحتهم، وسذاجة معيشتهم، وقوة عصبيتهم وكمال حريتهم، وخلو جزيرتهم مما يصد الفكر عن التأمل، ويعوق الذهن عن التفكر، فهم بين الصحراء والسماء في فضاء من اللانهاية يملأ الذهن والنفس خيالاً وجلالاً وروعة. وهم فوق ذلك ذوو نفوس شاعرة، وطباع ثائرة، يستفزهم الرغبُ والرهبُ، ويزدهيهم الطرب والغضب، فلم يتركوا شيئاً يجول في النفس أو يقع تحت الحس إلا نظموه، فكان الشعر ديوان علومهم وحكمهم، وسجل وقائعهم وسيرهم، وشاهد صوابهم وخطأهم، ومادة حوارهم وسمرهم. وكانوا كلهم يروونه، وجلهم يقرضونه عفو البديهة وفيض الخاطر حتى روى عنهم من الشعر الوجداني ما لم يرو عن أمة من أمم الأرض مثله فلا بدع إذا كان الشاعر يغويهم ويرشدهم، والبيت الواحد يقيمهم ويقعدهم. والأمثال في التاريخ مستفيضة على تأثير الشعر في نفوسهم ومنزلة الشاعر من قلوبهم، كحديث الأعشى مع المحلِّق وحسان مع بني عبد المدان، والحطيئة مع بني أنف الناقة.

أنواع الشعر وأغراضه:

أنواع الشعر ثلاثة: شعر غنائي أو وجداني Lyrique وهو أن يستمد الشاعر من طبعه وينقل عن قلبه ويعبر عن شعوره. وشعر قصصي Eptique وهو نظم الوقائع الحربية والمفاخر القومية في شكل قصة، كالإلياذة والشاهنامة. وشعر تمثيلي Dramatique وهو أن يعمد الشاعر إلى واقعة فيتصور الأشخاص الذين جرت على أيديهم وينطق كلا منهم بما يناسبه من الأقوال. وينسب إليهم ما يلائمه من الأفعال. والغنائي أسبق هذه الأنواع إلى الظهور؛ لأن الشعر أصله الغناء كما علمت. والإنسان إنما يشعر بنفسه قبل أن يشعر بغيره، ويتغنى بعواطفه قبل أن يتغنى بعواطف سواه.

ولما كان الشعر مادته الخيال، والخيال غذاؤه الحس؛ والعربي لا يرى من المناظر غير وجوه البادية، ولا يسمع من الأقاصيص إلا البطولة والحرب، ولا يعرف من الجمال إلا جمال المرأة، أبدع في وصف ما شاهده من حيوان وسهل وجبل، وأجاد التعبير عن عاطفة الحماسةيوم الخصومة والجدل، وتفنن ما شاء له الحب في التشبيب والغزل. فالشعر العربي غنائي محض، لا يعنى الشاعر فيه إلا بتصوير نفسه، والتعبير عن شعوره وحسه. والعواطف تتشابه في أكثر القلوب ويكاد التعبير عنها يتفق في أكثر الألسنة. ومن ثم نشأ فيه

التكرار، وتوارد الخواطر، والسرقة، ووحدة الأسلوب، وتشابه الأثر. وكان من الحق أن يقول زهير:

ما أرانا نقول إلا معارا أو معاداً من لفظنا مكروراً

أما الشعر القصصي والتمثيلي فلا أثر لهما فيه، لأن مزاولتهما تقتضي الروية والفكرة، والعرب أهل بديهة وارتجال؛ وتطلب الإلمام بطبائع الناس، وقد شغلوا بأنفسهم عن النظر فيمن عداهم؛ وتفتقر إلى التحليل والتطويل، وهم أشد الناس اختصاراً للقول وأقلهم تعمقاً في البحث. وقد قل تعرضهم للأسفار البعيدة والأخطار الشديدة، وحرمتهم طبيعة أرضهم، وبساطة دينهم، وضيق خيالهم، واعتقادهم بوحدانية إلههم، كثرة الأساطير وهي من أغزر ينابيع الشعر القصصي، فزخرت بحور الشعر العربي بالفخر والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والعتاب والغزل والوصف والاعتذار والحكمة، وخلا مع اتساعه وتشعب أغراضه من الملاحم المطولة التي تعلن المفاخر القومية وتشيد بذكر الأبطال والفروسية كالإلياذة لليونان، والإينياد للرومان ومهابهارته للهنود، والشاهنامة للفرس.

مميزات الشعر الجاهلي:

وعوثة الصحراء وخشونة العيش، وحرية الفكر، وطبيعة الجو، وسذاجة البدو، كل أولئك طبع الشعر الجاهلي بطابع خاص ومازه بسمة ظاهرة. فمن خصائصه الصدق في تصوير العاطفة، وتمثيل الطبيعة، فلا تجد فيه كلفاً بالزخرف ولا تكلفاً في الأداء؛ فكثر لذلك الإيجاز، وقل المجاز، وندرت المبالغة. وضعفت العناية بسياق الفكر على سنن المنطق واقتضاء الطبع: فعلائق المعاني واهنة واهية، ومساق الأبيات مفكك مضطرب. فإذا حذفت أو قدمت أو أخرت لا تشعر القصيدة بتشويه أو نقص، وذلك لأن البدو بطبيعتهم يعوزهم النظر الفلسفي فلا يرون الحوادث والأشياء إلا مجردة لا ينظمها سلك ولا تجمعها علاقة. ومن ثَمَّ كانت وحدة النقد عند أدباء العرب البيت لا القصيدة. ومنها استعمال الغريب ومتانة التركيب وجزالة اللفظ؛ لتأثرهم بمظاهر الغلظة والقوة البادية في طباعهم ونظام اجتماعهم. والابتداء بذكر الأطلال والديار، لأنهم أهل خيام ومضارب، وألّاف انتجاع وظعن، فلا يكاد الشاعر يمر بمكان حتى يذكر عهداً قضاه فيه، وأحبة ترحلوا عنه. فتهيجه الذكرى فيحييِّه ويبكيه والشعر الجاهلي على الجملة كثير التشابه قليل التنوع يجري في حَلْبة واحدة من السماع والتقليد.

الرواية والمعلقات:

المرويَّ من الشعر الجاهلي على قصر عهده المعروف يفوت الجمع وتضيق عنه الحافظة. على أن كثيرين من رواته ذهبت بهم حروب الفتح فذهب معهم شطر كبير منه.

قال أبو عمرو بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله. ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير» ولكن هذه الكثرة متهمة وروايتها مُريبة، فإن الشعر لم يدَون إلا في أوائل القرن الثاني للهجرة وإن في نقله على الألسنة، طوال هذه الأزمنة، مَظنة للتبديل والاختلاق والتزويد. وفيما رُوِي عن حماد الرواية وخلف الأحمر من عَبثهما بالشعر وافتعالهما إياه مساغ لهذا الظن. ولعل القصائد التسع والأربعين التي جمعها أبو زيد القرشي في جمهرة أشعار الغرب أصح الشعر القديم رواية وأصدقه تمثيلاً لأسلوبه ومنهاجه. وأبعد هذه القصائد مدى في الرواية، وأوفرها حظاً من الحفظ والعناية، المعلقات أو المذهّبات أو السُّموط. وهنّ على الرأي الغالب سبع قصائد يزعم جمهور المؤرخين أن العرب اختارتها فكتبتها بماء الذهب على القباطي، ثم علقتها بالكعبة اعجاباً بها وإشادة بذكرها. وقد بقي بعضها إلى يوم فتح مكة وذهب بالبعض الآخر حريق أصاب الكعبة قبل الإسلام: وأصحابها هم امرؤ القيس، وزهير بن أبي سُلمى، وطرفَة ابن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعنترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة. ومن الناس من ينكر تعليقها على الكعبة بغير دليل قائم ولا حجة مقنعة. فمن المتقدمين أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ومن المتأخرين المستشرق الألماني نولدكى Noeldeke على أن تعليق الصحائف الخطيرة على الكعبة كان سُنة في الجاهلية بقي أثرها في الإسلام. فمن ذلك تعليق قريش الصحيفة التي وكدوا فيهاعلى أنفسهم مقاطعة بني هاشم والمطلب لحمايتهم رسول اللّه ﷺ حين أجمع على الدعوة؛ وتعليق الرشيد عهدَه بالخلافة من بعده إلى ولديه الأمين فالمأمون فلم لا يكون الأمر كذلك في هذه القصائد مع ما علمت من تأثير الشعر فيهم ومكانة الشعراءِ منهم؟ على أن لهذا الأمر نظائر في أدب الإغريق، فإن القصيدة التي قالها بَنْدار زعيم الشعر الغنائي يمدح بها دياجوراس قد كتبوها بالذهب على جدران معبد أثينا في لمنوس.

نماذج من الشعر الجاهلي:

قال امرؤ القيس:

وقد أغتدي، والطيرُ في وُكناتها ... لِغيثٍ من الوَسْميّ رائده خال
تحاماهُ أطرافُ الرماح تحامِياً ... وجادَ عليه كلّ أسْحَمَ هطال
بعِجْلِزة قد أتْرَزَ الجريُ لحمَها ... كُمَيْتٍ كأنها هراوةُ منوال
ذَعرْت بها سِربا نقياً جلودُه ... وأكْرُعه وشيُ البرود من الخال
كأن الصُّوار إذْ تجاهدنَ غدوةً ... على جمزَى ـ خيل تجول بأجْلالِ
فجال الصوَّار، واتقّين بِقرْهَبٍ ... طويل القرا والرَّوق أخنسَ ذيال
فعَادْيتُ منه بين ثور ونعْجةٍ ... وكان عِدائي إذا رَكِبتُ عَلَى بالي
كأني بِفتخاء الجناحْين لَقوَةٍ ... على عجل منها أطأطِيء شملال

تخطفُ خِزانَ الأنيْعَم بالضحَى ... وقد حَجَرتْ منها ثعالِب أورَال
كأنَّ قلوب الطيرِ رطباً ويابساً ... لدى وَكرها ـ العُنَّابُ والحَشَفُ البالي
فلو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشة ... كفاني ـ ولم أطلب ـ قليلٌ مِن المال
ولكنما أسعى لمجد مُؤثَّلٍ ... وقد يدرك المجدَ المؤثلَ أمثالي
وما المرءُ ما دامت حُشاشةُ نفسِه ... بمُدرِكِ أطرافِ الخُطوب ولا آل

وقال النابغة الذُّبياني من قصيدته التي يمدح بها النعمان ويعتذر إليه:

أتاني ـ أبَيْتَ اللعْنَ ـ أنَّك لمتنى ... وتلك التي تَسْتك منها المسامع
مقالةُ أنْ قد قلْت: سوفَ أنالهُ، ... وذلكَ من تلقاءِ مِثلك رائعُ
لعمري ـ وما عمري عَلَيَّ بهيِّن ـ ... لقد نطقت بُطْلاً عَلَيَّ الأقارعُ
أقارعُ عوْفٍ، لا أحاول غيرَها ... وُجوهُ قرودٍ تبتغي مَنْ تجادع
أتاكَ امرُؤٌ مستبطنٌ لي بُغْضَةَ ... له من عدوٍ مثل ذلك شافعُ
أتاك بقوْل هَلْهَلِ النسج كاذبٍ ... ولم يأتِ بالحق الذي هو ناصعُ
أتاك بقوْل لم أكن لأقوله ... ولو كُبلت في ساعديَّ الجوامع
حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وهل يَأثمَنْ ذو أمة، وهو طائع
بمصطحباتٍ من لِصافٍ ونُبْرَةٍ ... يرونَ إلالاً، سَيرُهنَّ التدافعُ
سماماً تُبارى الرّيحَ خوصاً عيونُها ... لَهنَّ رزَايا بالطريق وذَائعُ
عليهنَّ شعّت عامدون لحجِّهمْ ... فهُنَّ كأطراف الحَنِيّ خواضعُ
لَكلفتْني ذنب امرِىء، وَتركتَه ... كذي الْعر يكوَى غيرهُ وهو راتع
فإن كنت لاذ والضِّغْن عني مُكذِّبٌ ... ولا حَلِفي عَلَى البراءةِ نَافعُ
ولا أنا مأمونٌ بشيىء أقولهُ ... وأنت بأمرٍ ـ لا محالة ـ واقعُ
فإنك كالليل الذي هومُدركي ... وإن خِلتُ أنَّ المنتأى عنك واسع
خطاطيفُ حُجْن في حبال متينةٍ ... تُمَدُّ بها أيدٍ إليك نوَازع
أتُوعِد عبْداً لم يخنْك أمانةً ... ويُترَكَ عبدٌ ظالمٌ وهو ضالع
وأنت ربيعٌ يُنْعِشُ النَّاسَ سَيبُه ... وسَيفٌ أُعِيرَتْهُ المنية قاطع
أبىٰ اللَّه له إلا عدلهُ ووفاءهُ ... فلا النُّكْرُ معروفٌ ولا العُرف ضائع
وتُسقى إذا ما شئْتَ غيرَ مُصَرَّدٍ ... بزوراءَ في حاناتها المسكُ كانع

وقال دُريد بن الصِّمة في رثاء أخيه:

أرثَّ جديدُ الحَبل منْ أُمِّ مَعْبَدِ ... بعاقبةٍ، أم أخلفتْ كلَّ موعِد
وكانت، ولم أحْمدْ إليك نوالهَا ... ولم ترْجُ منَّا ردَّةَ اليوم أوغَدِ
كأنَّ حمُولَ الحيِّ إذ متَع الضُّحى ... بناصية الشحناء عَصْبةُ مِذوَدِ

أو الأثأبُ الْـعَمُّ الـمحَـرَّمُ سُـوقـهُ ... بكـابـة لـم يُـخْبَط، ولـم يتـعَـضـدِ
فـقـلت لـعـارض وأصـحـاب عـارض ... ورهِط بني السـوداء والقـومُ شُـهَّـدي
عـلانيـةً. ظُنـوا بـألْـفى . مُـدَجَّج ... سـراتـهُـمُ فـي الـفـارِسـيِّ الـمُـسَـرَّد
وقـلت لـهـم: إنَّ الأحـالـيـفَ هـذه ... مـطـنَـبـةٌ بـيـن الـسـتَّـار وثـهـمـدِ
ولـمـا رأيت الـخـيْـلَ قُـبْـلاً كـأنـهـا ... جـرادٌ يُـباري وجْـهَـهُ الـريـح مُـعْـثـدي
أمـرتُـهـمُ أمـري بـمُـنـعـرَج الِّـلوى ... فلم يستبينـوا الـرُّشـد إلا ضُحى الغـد
فلمـا عَصـوني كنت منـهم وقـد أرى ... غـوَايـتـهـم أني بـهـمْ غـيـرُ مُـهـتـدي
وهـل أنـا إلا مـن غـزّيـة؟ إن غـوت ... غـوَيـتُ وإن تـرشـد غـزَّيـةُ أرشُـدِ
دعـانـي أخي والـخيـل بـيـني وبـيـنَـه ... فـلـمـا دَعـانـي لـم يـجـدنـي بـقُـعْـدُد
أخ أرضـعـتـنـي أُمُّـه مِـنْ لِـبـانـهـا ... بِـشَـدْي صـفـاء بـيـنـنـا لـم يُـجـدد
فـجئْـتُ إلـيـه والـرمـاحُ تَـنُـوشُـه ... كـوقْـع الصَّيَّـاصي في النسيجِ الممُدّد
وكـنْت كـذاتِ البَـوِّ رَيـعتْ فـأقـبلت ... إلـى قِـطَع مـن جـلد بَـوٍّ مـجَـلدّ
فـطاعنتُ عنـه الخيـل حتى تنهـنهتْ ... وحـتى عـلانِـي حـالـكُ الـلون أسـود
قِـتـالَ امـرىءٍ آسـى أخـاهُ بـنـفـسِـه ... ويـعـلمُ أن الـمـرء غـيـرُ مُـخـلد
تـنـادوْا فقـالـوا: أَردْتِ الخيلُ فـارسـاً! ... فـقـلتُ: أَعَـبـدُ الـلَّه ذلـكـم الـرَّدِي؟
فـإن يـكُ عـبـدُ الـلَّه خـلىّ مـكـانـه ... فـمـا كـان وقَّـافـاً ولا طـائش الـيـد
ولا بـرمـاً إمَّـا الـريـاحُ تـنـاوحَـتْ ... بـرَطْب العِضـاه والضَّـريـع الـمُنضّـدِ
وتـخْـرِج مـنـه صِـرَّةُ الـقُـرِّ جـزأةً ... وطُـولُ الـسَّـرى دُرِّيَّ عَـضْـبٍ مُـهَـنَّـد
كـمـيشُ الإزارِ خـارجٌ نـصـفُ سـاقِـه ... صـبـورٌ عـلى الـضـراء طـلاّعُ أنْـجُـدُ
قـلـيـلٌ تـشـكّـيـه الـمـصـيـبـات ذاكُـرٌ ... فمن اليـوم أعقـابَ الأحـاديث في غـد
ذا هَـبَـط الأرضَ الـفـضـاءَ تَـزَيّـنـتْ ... لـرُؤْيـتـه كـالـمـأتـم الـمـتـلَبّـد
وكـم غـارةٍ بـالـلـيـلِ والـيـوم قـبـلَه ... تـدارَكـهـا منّـي بـسـيـد عـمـرَّدِ
سليم الشظى عَبْلُ الشَّوى شنَجُ النَّسا ... طـويـلُ الـقـرَا نَهـدٌ أَسـيـلُ الـمُـقـلّد
يـفـوتُ طـويـل القـوم عَـقْـدُ عـذَاره ... مُـنـيـفٌ كـجـذع الـنّـخـلة الـمـتَـجـرِّد
وكـنـتُ كـأنـي واثـق بـمُـصـدِّرٍ ... يُـمَـشّـي بـأكـنـافِ الـجُـبَـيْـل فـثـهـمَـد
لـه كـلُّ من يَلْقَى من الـنـاس واحـداً ... وإن يَـلْـق مَـثْـنَـى الـقَـوْم يـفْـرَحَ ويَـزْدَد
وهـوَّن وجْـدي أنـنـي لـم أقُـل لـه: ... كـذَبـت ولم أبـخـل بـمـا مَـلكتْ يـدي

وقال علقمة بن عَبدَة التميمي:

طحـا بـك قَلْبٌ في الحسـانِ طـروبُ ... بُـعَـيـدَ الـشَّـبَـابِ عَـصْـرَ حـان مشيب
يـكـلفُـنـي لـيْـلَى، وقـد شطّ ولْـيُـهـا ... وعـادت عـوادٍ بـيـنـنـا وخُـطوب
عُـنـعـمَّـةٌ، مـا يُـسـتـطاع كـلامـهـا، ... عـلى بـابـهـا مِـن أن تـزارَ رَقـيـب

إذا غـاب عنهـا البَعْـلُ لـم تُفش سِـرَّهُ وتُـرضـى إيـاب البـعـل حـيـن يـؤُوب
فـلا تـعـدِلي بـيـنـي وبـيـن مغَـمَّـر سَـقـتكِ روايـا الـمُـزْنِ حيـن تصـوب
سـقـاكِ يـمـانٍ ذو حَبيٍّ وعـارض تـروحُ بـه جُنْـحَ الـعـشيِّ جـنـوب
ومـا أنـت؟ أم مـا ذكـرهـا؟ ربَـعِـيَّـةً يُـخطُّ لـهـا مـن ثـرمـداء قـلـيـب
فـإن تـسـألـونـي بـالـنـسـاء فـإنـنـي بـصـيـرٌ بـأدواءِ الـنـسـاء طـبـيـب
إذا شـابَ رأسُ الـمـرء أو قـلَّ مـالـه فـلـيس لـه مـن وُدِّهِـن نـصـيـب
يُـردْنَ ثـراءَ الـمـال حـيـث عَـلِمـنـهَ وشـرْخُ الـشـبـاب عـنـدهُـن عـجـيـب
فـدعْـهـا وسـلِّ الهـمَّ عنـكَ بـجسـرَةٍ كـهـمِّـك فـيـهـا بـالـردافِ خـبـيـب
إلى الحـارثِ الـوهـاب أعملتُ نـاقتي بـكـلـكـلـهـا والـقُـصْـرَيَـيْـنِ وجـيـب

وقال عبد يغوث الحارثي اليمني:

ألا لا تـلومـانـي كـفـى الـلـوم مـا بـيـا فـمـا لكَـمـا فـي الـلـوم خـيـرٌ ولا لـيـا
ألـم تـعـلـمـا أن الـمـلامـة نـفـعُـهـا قـلـيـل، ومـا لـومـي أخـي من شِـمـالـيـا
فـيـا راكـبـاً إمَّـا عـرضـتَ فـبَـلِّغـنْ نـدامـاي مـن نـجـران أنْ لا تـلاقِـيـا
أبـا كـربٍ والأيْـهَـمَـيْـنَ كـلـيـهـمـا وقيـساً بـأعلى حضـر مَـوت اليـمـانـيـا
جـزى اللَّه قـومي بـالـكـلاب مـلامـة صـريـحـهـمُ والآخـريـن الـمـوالـيـا
ولـو شئت نجتبي من الخيـل نـهْـدَةً تـرى خلفهـا الـحُـوَّ الجيـادَ تـوَاليـا
ولـكـنـنـي أحـمـي ذِمـار أبـيـكُـم وكـان الـرمـاح يختـطفـن لمُـحـاميـا
أقـول وقـد شـدُّوا لـسـاني بـنِـسْـعَـةٍ أمعشـر تَـيْمٍ أطلقـوا عـن لِـسـانـيـا
أمعشـر تـيـم قـد ملكتـم فـأسْـجِـحُـوا فـإن أخـاكـم لـم يـكـن مـن بـوَائـيـا
فـإن تـقـتـلوني تـقـتـلوا بـيَ سـيِّـداً وإن تُـطلِقـوني تحـربـوني بمـاليـا
أحـقـاً عـبـادَ الـلَّهِ أن لـستُ سـامـعـاً نشيـد الـرِّعـاء المعـزبين الـمتـاليـا
وتـضحـك مـني شـيـخـةٌ غـبـشـمـيـةٌ كـأن لـم تـرى قـبـلي أسـيـراً يـمـانـيـا
وقـد عـلمـت عِـرسـي مـليْـكـة أنـنـي أنـا الـلـيـثُ مـعـدُوًّا عَـلَـيَّ وعَـاديـا
وقـد كنت نحَّـارَ الـحـزور، ومُعْمِـل الْـ مَـطِيِّ، وأمـضـي حيث لا حيَّ مـاضيـا
و أنـحـرُ للشَّـرب الـكـريـم مـطيـتـي واصـدعْ بـيـن الْـقَـيْـنَـتَـيْـنِ ردائـيـا
وكنتُ إذا مـا الخيـلُ شمَّصـهـا الْقنـا لـبيـقـاً بـتـصـريـف الـقـنـاة بـنـانـيـا
وعـاديـةٍ سَـوْمَ الـجـراد وَزعـتـهـا بـكـفِّـي وقـد أنـحـوْا إليّ الـعـواليـا
كـأنـيَ لـم أركـبْ جـواداً ولـم أقـل لِـخَيْـلِيَ: كـرِّي نفسي عـن رجـاليـا
ولـم أسـبـأ الـزِّق الـرويِّ، ولـم أقـل لأيْـسـار صِـدق أعـظـمـوا ضـوء نـاريـا

وقال ذو الإصبع العدواني:

لـيَ ابـنُ عمّ على ما كـان مـن خُـلق مـخـتـلـفـان: فـأقـلـيـه، ويـقـلـيـنـي

أزرى بنا أننا شالتْ نعامتنا ... فخالني دُونه، وخلتُه دوني
يا عمرُو إلا تدعْ شتميَ ومنْقَصَتي ... أضربْكَ، حتى تقول الهامة: اسقوني
لاه ابن عمك! لا أفضلت في حسبٍ ... عني، ولا أنت ديَّاني فتخْزوني
ولا تقوتُ عيالي يوم مسغبةٍ ... ولا بنفسك في العزَّاء تكفيني
إني لعمرك ما بأبي بذي غَلَق ... عن الصديق، ولا خيري بممنون
ولا لساني على الأدنى بمنطلق ... بالفاحشات، ولا فتكي بمأمون
عفٌّ يؤوس إذا ما خفتُ من بلدٍ ... هُوناً فلستُ بوقاف عَلَى الهُون
عني إليك، فما أُمِّي بَرَاعيةٍ ... ترعى المخاض، وما رأيي بمغبُون
كلّ امرىء راجع يوماً لشيمته ... وإن تخلق أخلاقاً إلى حين
إني أبيٌّ أبيٌّ ذو محافظةٍ ... وابن أبيّ أبيّ مِنْ أبيين
وأنتمُ معشرٌ زيدٌ عَلَى مائة ... فأجمعوا أمركم كلًّا فكيدوني
فإن علمتمْ سبيل الرشد فانطلقوا ... وإن جهلتم سبيل الرشد فأتوني
مِاذا عَلَيّ وإن كنتم ذوي رحمي ... ألا أحبكم إن لم تحبوني
لو تشربون دمي لم يرو شاربكم ... ولا دماؤكم جَمْعاً تُرَوِّيني
اللَّهُ يَعملني، واللَّه يَعلمكم ... واللَّه يجزيكم عني، ويجزيني
قد كنت أوتيكم ثم نصحي، وأمنحكم ... وُدِّي على مُثبت في الصدر مَكنون
لا يُخرجُ الكره مني غيرَ مأبيةٍ ... ولا أليِنُ لمن لا يبتغي ليني

وقال الأفوهُ الأوْدي:

البيت لا يُبتني إلا له عَمد ... ولا عِماد إذا لم تُرْسَ أوتادُ
فإنْ تَجمَّعَ أوتادٌ وأعمدةٌ ... وسَاكن بَلغوا الأمر الذي كادوا
لا يصلُحُ الناس فوضى لا سرَاة لهم ... ولا سَراة إذا جهَّالهم سادُوا
تهدى الأمُور بأهل الرأي ما صلحت ... فإنْ تولّت فبالأشرار تنقادُ
إذا تولىَّ سراة الناس أمرهم ... نمَا على ذاك أمر الْقوم فازدادوا

وقال ودَّاك بن ثميل المازني:

رويد بني شيبان بعضَ وعيدكم ... تُلاقوا غداً خيلي على سفوَان
تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوغى ... إذا ما غدتْ في المأزق المتداني
عليها الكماةُ الغرُّ من آل مارن ... ليوث طعان عند كل طغان
تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرُهم ... عَلَى ما جنتْ فيهم يد الحدثَان
مقاديم وصَّالون في الرّوع خطوهم ... بِكلِّ رَقيق الشفرتين يمان
إذا استُنجدُوا لم يسألوا منْ دعاهُم ... لأية حزب أمْ بِأيِّ مَكان

وقال زهير بن أبي سُلْمى يمدح هَرم بن سنان:

وأبيضَ فيَّاض يَدَاهُ غمامة ... عَلَى مُعْتِفيهِ مَا تُغِبُّ فواضلُه
أخي ثقةٍ لا يهلك الخمر مالَه ... ولكنه قد يهلك المال نائله
تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وقال أيضاً!

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وجوههم ... وأندِيةٌ ينتابها القول والفعل
وإن جئتهم ألقيت حول بيوتهم ... مجالس قد يُشْفى بأحلامها الجهل
على مكثريهم رَزقُ من يَعتريهمُ ... وعند المقِلين السماحة والبذل
سعى بعدهم قوم لكي يدركُوهُم ... فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا
فما كان من خير أتوه فإنما ... تَوَارثهُ آباءُ آبائهم قبل
وهل يُنْبتُ الخَطيَّ إلا وشيجُهُ ... وتُغرَس إلا في منابتها النخل؟

وقال الأعشى يمدح المحلق:

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرة ... إلى ضوء نار باليفاع تحرَّقُ
تَشَبُّ لمقرورَيْن يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق
رضيعَيْ لبانٍ ثدي أم تقاسما ... بأسحم داج عَوْضُ لا نتفرق
ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه ... كما زان متنَ الهِنْدُواني رونق
يداه يدا صدق فكفٌ مُبيدةٌ ... وكفٌ إذا ما ضُنّ بالمال تُنفِقُ

وقال تأبط شراً يمدح ابن عم له وينعته بما يتمدح به الجاهليون من الصفات:

إني لَمُهدٍ من ثنائي فقاصدٌ ... به لابن عم الصدق شمس بن مالك
أهزُّ به في ندوة الحي عِطْفهُ ... كما هز عطفي بالهجان الأوارك
قليل التشكي للمهم يصيبه ... كثير الهوى شتى الثوى والمسالك
يظل بموماة ويمسى بغيرها ... جُحيشاً ويَعْرورِي ظهور المهالك
ويسبق وفد الريح من حيث ينتحى ... بمنخرق من شدَّة المتدارك
إذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل ... له كالِئٌ من قلب شيْحانَ فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه ... إلى سلَّةٍ من حد أخلق صائك
إذا هزه في وجه قرن تهللت ... نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الإنس الأنيس ويهتدي ... بحيث اهتدت أمُّ النجوم الشوابك

وقال عمرو بن الهذيل العبدي:

ولا ترْج خيراً عند باب ابن مَسمعٍ ... إذا كنت من حيي حنيفة أو عِجْل
ونحن أفمنا أمر بكر بن وائل ... وأنت (بشاج) ما تمرُّ وما تَحْلى

وما تستوي أحساب قوم تُورِّثتْ قديماً وأحساب نبتنَ مع البقل

وقال لبيد بن ربيعة يرثي النعمان:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أتحْبٌ فيقضى أو ضلالٌ وباطل؟
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى، كلٌّ ذي لبّ إلى اللّه واسل
ألا كلُّ شيء ما خلا اللّه باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويْهيةً تصفر منها الأنامل
وكل امرىء يوماً سيعلم غَيْبه إذا حُصِّلت عند الإله الحصائل
إذا المرء أسرى ليلةً خال أنه قضى عاملاً، والمرء ما دام عامل
فقولا له إن كان يقسم أمره ألما يعظْك الدهر؟ أمك هابل
فتعلم أني لست مدرِك ما مضى ولا أنت مما تحذر النفس وائل
فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل
وإن لم تجد من دون عدنان والداً ودون مَعَدٍّ فلْتزعْك العواذل

وقال عَديّ بن زيد العبادِي:

أيها الشامت المعيِّر بالدهـ ـر أأنت المبرّأ الموفور؟
أم لديك العهد الوثيق من الأيا م أمْ أنت جاهل مغرور؟
من رأيت المنون خلدن أم منْ ذا عليه من أن يُضام خفير؟
أين كسرى كسرى الملوك أبوسا سان أم أين قبله سابور؟
وأبو الخضر إذ بناه وإذ دجْـ ـلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلْـ ساً فللطير في ذراه وكور
وتبين رب الخورْنق إذ أشـ ـرف يوماً وللهدى تفكير
سره خاله وكثرة ما يمـ ـلك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قَلبه فقال وما غبـ ـطة حي إلى الممات يصير؟
ثم بعد الفَلاح والملك والأمة م وارتهمُ هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جفّ م فألْوَتْ به الصبَّا والدّبور

وقال امرؤ القيس في معلقته يصف الليل:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً ونآء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح، وما الإصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مُغار الفتل شدَّت بيذبل

وقال فيها يصف جواده:

وقد أغتدي والطير في وُكناتها ... بمنجَرد قيْدِ الأوابد هيكل
مِكر مِفَرٍّ مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطه السيل من عل
له أيطلا ظبي وساقا نعامةٍ ... وإرخاء سرحان وتقريب تَتْفل

وقال طرفة بن العبد يصف السفينة:

كأن حَدوج المالكيةِ غدوة ... خلايا سفين بالنواصف من (دَدِ)
عَدْوَلية أو من سفين ابن يامنٍ ... يجور بها الملاحُ طوراً ويهتدي
يشق حَباب الماء حيزومُها بها ... كما قسم التربُ المفايل باليد

وقال أبو صعترة البولاني:

فما نطفة عن حَبّ مزن تقاذفت ... به جَنْبتا الجوديِّ والليل دامس
فلما أقرّته اللصاب تنفست ... شمالٌ لأعلى مائه فهو فارس
بأطيب مِن فيها وما ذقت طعمه، ... ولكنني فيما ترى العين فارس

وقال الأعشى:

ما روضةٌ من رياض الحَزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسْبِل هطِل
يضاحك الشمس منها كوكب شرِق ... مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشرَ رائحة ... ولا بأحسن منها إذْ دنا الأصُل

وقال المتلمس جرير بن عبد العزّى من قصيدة:

وكنا إذا الجبار صعّر خدّه ... أقمنا له من خده فتقوّما
لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما عُلِّم الإنسان إلا ليعلما
ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي ... جعلت لهم فوق العرانين ميسما
وما كنت إلا مثلَ قاطع كفه ... بكف له أخرى فأصبح أجذما
فلما استقاد الكفّ بالكف لم يجد ... له درَكا في أن تبينا فأحجما
يداه أصابت هذه حنف هذه ... فلم تجد الأخرى عليها مقدما
فأطرق إطراق الشجاع ولوْ يرى ... مساغاً لنابَيْه الشجاع لصمما

الفصل الرابع

الشعراء الجاهليون وطبقاتهم

كل قبيلة كانت تحرص على أن يكون لها شاعر وقائد وخطيب، ولكن الشاعر كان أكرم عليها وأحب إليها من هذين. فكانت إذا نبغ فيها شاعر تصنع الولائم وتقيم الأفراح وتهنئها القبائل. وذلك لأن الشعراء يقودون قومهم بقولهم، وينضحون عنهم يوم حفلهم، ويخلدون مآثرهم على الدهور، وينقشون مفاخرهم في الصدور، لا يبتغون على ذلك جزاء ولا صلة. على أن نفراً منهم نكبوا بالشعر فغض ذلك من أقدارهم، وإن لم يغض من أشعارهم، كالنابغة مع النعمان، وزهير مع هرم بن سنان، والأعشى مع الملوك والسؤقة. وكان لكل شاعر راوية يلازمه ملازمة التلميذ لمعلمه. ينهج طريقه وينشر شعره ونابغو الشعراء قضوا عهد الثقافة والمرانة في الرواية، فكان امرؤ القيس راويةَ أبي دؤاد الإيادي، وزهير راوية أوس بن حجر، والأعشى راوية المسيب بن علس.

والشعراء بإعتبار الزمان أربع طبقات: جاهليون، وهم من عاشوا قبل الإسلام أو أدركوه ولم يقولوا فيه شيئا يذكر، كامرىء القيس وزهير وأمية بن أبي الصلت ولبيد. ومخضرمون، وهم الذين اشتهروا بالشعر في الجاهلية والإسلام، كالخنساء وحسان بن ثابت. وإسلاميون: وهم الناشئون في الإسلام الباقون على سليقتهم في العربية، وهم شعراء بني أمية. ومولدون: وهم الذين فسدت فيهم ملكة اللسان فعالجوها بالصناعة وهم شعراء بني العباس.

وهم باعتبار الإجادة في رأي النقاد ثلاث طبقات: امرؤ القيس وزهير والنابغة، وهم رجال الطبقة الأولى. والأعشى ولبيد وطرفة، وهم رجال الطبقة الثانية؛ وعنترة ودريد بن الصمة وأمية بن أبي الصلت، وهم رجال الطبقة الثالثة. وهذا التقسيم لا يخلو من ضلال وتحكم، لاختلاف الذوق وجهل القدماء بقواعد النقد.

٣ ـ امرؤ القيس
٤٩٧ ≃ ٥٤٥ م
١٣٠ ق هـ ≃ ٨٠ ق هـ

نشأته وحياته:

هو الملك الضليل ذو القروح جندح بن حجر الكندي، ولد أثيلَ المنبت كريم الأبوة والأمومة: فأبوه سليل الملوك من كندة، وملك بني أسد. وأمه أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة. فشب في حجر النعيم ودرج في مهد السراوة؛ إلا أنه نشأ نشأة الغواة يعاقر الراح ويغازل النساء ويعشق اللهو ويقول الشعر. ثم أطلق لنفسه العنان في المجون، وقعد عما تسمو إليه النفوس الكبيرة فطرده أبوه، وكان أصغر أولاده. فخرج في زمرة من أخلاط العرب ودؤبائهم يرتادون الرياض والغُدُر. فإذا صادفوا غديراً خيموا عليه وطفقوا يلعبون ويعاقرون ويصدون؛ حتى إذا نضب الماء وذوي العشب تحولوا عنه إلى غيره. ولم تزل تلك حاله حتى بلغ دمون من أرض اليمن. وهناك أتاه نعي أبيه وقد قتله بنو أسد غيلة لاستبداده بهم وسوء سيرته فيهم. فقال آمرؤ القيس: «ضيعني أبي صغيراً، وحمَّلني دمه كبيراً. لا صحو اليوم ولا سكر غداً. اليوم خمر، وغداً أمر» ثم آلى ألا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ولا يدَّهن بدهن حتى يقتل من بني أسد مائة ويجز نواصي مائة. فلما أجنه الليل شام برقاً فقال:

أرقت لبرق بليل أهل ... يضيء سناه بأعلى الجبل
أتاني حديث فكذبته ... بأمر تزعزع منه القُلل
بقتل بني أسد ربهم ... ألا كل شيء سواه جلل

فلما كان من الغد استنجد أخواله بكراً وتغلب وسار إلى بني أسد فأوقع بهم. ثم طلبوا أن يفدوه بمائة من وجوههم فأبوا؛ فتخاذلت عنه بكر وتغلب. وطلبه المنذر بن ماء السماء لموجدة كانت في نفسه على قومه، وأمده كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة فتفرقت جموعه خوفاً من المنذر. وسار هو في القبائل يطلب النصر حتى سدت عليه وجوهه. فلجأ إلى السموأل بن عاديا اليهودي فاستودعه دروعه وطلب منه كتاباً إلى الحارث بن أبي شمر

---

٣ ـ انظر ترجمته في: فحولة الشعراء: ص ١٢، ١٣، ١٦، ٣٥، ٣٦، ٤١، ٤٦، ٥٥، وطبقات فحول الشعراء: ٣٤، ٣٥، ٤٣ ـ ٤٦، ٢٣٥، والمغتالين: ص ٢٠٩، والشعر والشعراء: ص: ٣٧ ـ ٥٦، والمؤتلف والمختلف: ص ٩، والأغاني: ٩/٧٧ ـ ١٧، ومعجم الشعراء: ص ٢٠٠، والموشح: ص ٢٧ ـ ٣٨، وسمط اللآلي: ص ٣٨ ـ ٤٠، والتهذيب، لابن عساكر: ٣/١٠٤ ـ ١١١، وخزانة الأدب ١/١٦٠ ـ ١٦٢، ٣/٤٦٠٩

الغساني ليوصله إلى قيصر. فلما بلغ قيصر الروم وهو يومئذ جستنيان أكرم وفادته وطمع أن يكون امرؤ القيس قوة له في العرب، يريض له الأمور ويضعف نفوذ الأكاسرة. فجهزه بجيش وسيره، ثم بدا له فأعاده. ونزلت بامرىء القيس علة جلدية فتقرح جسمه وتهرأ لحمه. والمؤرخون يزعمون أنه لما فصل بالجنود دخل الطماح الأسدي على قيصر فوشى به وحمله عليه انتقاماً منه لقتله أباه. فبعث إليه قيصر بحلة وشي مسمومة وقد بلغ أنقرة من بلاد الروم فأصابه ما أصابه. ويستدلون على ذلك بقوله:

لقد طمح الطماح من نحو أرضه ... ليلبسني من دائه ما تلبسا
وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة ... فيالك نعمى قد تحولت أبؤسا
فلو أنها نفس تموت سوية ... ولكنها نفس تساقط أنفسا

ولما غشيته سكرة الموت قال: رب جفنة مثعنجرة، وطعنة مسحنفرة، وخطبة محبرة، تبقى غداً بأنقرة! ثم مات ودفن بجبل عسيب سنة ٥٦٠ م[1].

شعره:

نشأ امرؤ القيس نجدياً وإن كان يمنياً، فترعرع بين بني أسد في صميم العرب الخلَّص، فسمع الأشعار ورواها، وتطلعت نفسه إلى مساجلة الشعراء فقال الشعر على حداثة سنه. وكان جزل الألفاظ كثير الغريب جيد السبك سريع الخاطر بديع الخيال بليغ التشبيه وقد فتقت الأسفار والأخطار والمخالطة قريحته فاستنبط المعاني الجديدة، ونهج المذاهب الحديثة. وارتسمت في شعره محدثات عصره فنسبت إليه لنبوغه وتفوقه وجاهه، فقالوا إنه أول من وقف على الأطلال وبكى على الديار وشبَّب بالنساء، وشبههن بالمها والظباء، وأجاد وصف الليل والخيل لإدمان ركوبه وكثرة أسفاره. وإنك لتجد في شعره صورة كاملة من حياته وخلقه. ففيه عزة الملوك، وتبذل الصعلوك، وعربدة الماجن، وحمية الثائر، وشكوى الموتور، وذلة الشريد، وهو بإجماع الرواة زعيم الجاهليين للأسباب التي مرت بك.

نماذج من شعره:

من خير ما أثر عنه معلقته التي سارت في الناس مسير المثل نظمها في حادثة وقعت له مع آبنة عمه عنيزة، ثم استطرد إلى وصف الليل ونعت الفرس وذكر المجون والصيد. قال في مطلعها.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومَل

---

(١) والأصح أنه توفي سنة ٥٤٥ هـ.

وقد مر شيء منها في النماذج. ومنها في الغزل:

أفاطم مهلا بعضَ هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملي
أغرك مني أن حبَّك قاتلي ... وأنك مهما تأمري القلب يفعل
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل
فإن كنت قد ساءتك مني خليقة ... فسُلِّي ثيابي من ثيابك تنسل
تسلَّت عمايات الرجال عن الصبا ... وليس فؤادي عن هواها بمنسَل

وقال من قصيدة يذكر فيها رحلته مع عمرو بن قميئة إلى قيصر:

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته ... وقرت بهِ العينان بُدلت آخرا
كذلك جَدّي لا أصاحب واحداً ... من الناس إلا خانني وتغيرا
تذكرت أهلي الصالحين وقد أتت ... على جمل بنا الركاب وأعفرا
ولما بدت حوران والآل دونها ... نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا
تقَطَّع أسبابُ اللُّبانات والهوى ... عشية غادرنا حَماة وَشيزَرا
بكَى صاحبي لما رأى الدربَ دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له: لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

٤ ـ النابغة الذبياني

... ≃ ٦٠٤ م

... ≃ ١٨ ق هـ

نشأته وحياته:

هو أبو أمامةَ زِياد بن معاوية، ولقب بالنابغة لأنه لم يقل الشعر حتى احتنك، ثم فجيء الناس بشعر بذّبه الشعراء، وكان له منه مادة لا تنقطع فشبهوه بالماء النابغ. وهو أحد سَرَاةِ بني ذبيان ومن ذوي مَثالتهم، ولكن تكسبه بالشعر غض من قدره وطأطأ من إشرافه. اتصل

---

٤ ـ انظر ترجمته في: فحولة الشعراء: ص ١٢، ١٣، ١٦، ٣٥، ٣٦، ٤١، ٤٦، ٥٥، وطبقات فحول الشعراء: ٣٤، ٣٥، ٤٣، ٤٦، ٢٣٥، والمغتالين: ص ٢٠٩، والشعر والشعراء: ص ٢٠٠، والموشح: ص ٢٧ ـ ٣٨، وسمط اللآلىء: ص ٣٨ ـ ٤٠، والتهذيب، لابن عساكر: ٣/١٠٤ ـ ١١١، وخزانة الأدب ١/١٦٠ ـ ١٦٢، ٣/٦٠٩ وابن عساكر: ٥/٤٢٤ ـ ٤٢٩، وشواهد العيني: ١/٨٠، وخزانة الأدب: ١/٢٨٧ ـ ٢٨٩، ٤٢٧ ـ ٤٢٨، ٤/٩٦ ـ ٩٧، ومعجم المؤلفين: ٤/١٨٨.

بالنعمان بن المنذر فاستخلصه إليه وأسبغ نعمته عليه حتى أكل وشرب في آنية الذهب والفضة من جوائزه. وما زال النابغة يَتَبَسّط على النعيم، ويَتَفَيَّأُ ظلال الخفْض، حتى دَرج بالنميمة بينهما بعض حساده متذرعين إلى الوشاية بقصيدته في وصف المتجردة زوج النعمان. فوقَرَت السعاية في نفس الملك فتوعده، فنجا الشاعر بنفسه إلى الشام ولاذ بعمرو بن الحارث الأصغر الغساني، فنزل منه في جناب مريع وأمن شامل، فزاد ذلك في حقد النعمان عليه لالتجائه إلى أعدائه ومنافسيه. وما زال النابغة عند بني غسَّان يصلهم بالدر ويصلونه بالذهب حتى بلغه أن النعمان عليل، فرجع يطلب الشفاعة إليه، ويرجو البراءة عنده، مقدماً بين يديه مع شفيعيه تلك القصائد الخالدة في الاعتذار، فاستلَّت ما في نفس الملك وأحلَّته منه في المكان الأول، وبقي في حال حسنة حتى أرعشه الكِبر وقيده الهرَم وسئم الحياة وقال:

المرء يأمل أن يعيـ ... ـش وطول عيش قد يضرُّه
تفْنى بشاشته ويبـ ... ـقى بعد حلو العيش مرُّه
وتخونه الأيام حتى ... لا يرى شيئًا يسره
كم شامت بي إن هلكْـ ... ـتُ وقائل: لله درُّه

وكانت وفاته في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة.

شعره:

النابغة أحد فحول الشعراء الثلاثة الذين لا يشق غبارهم، ولا تلحق آثارهم، وهم امرؤ القيس وهو وزهير. ويمتاز من صاحبيه ببديع كنايته، ودقيق إشارته، وصفاء ديباجته، وقلة تكلفه، وموافقة شعره لهوى النفوس. ولهذا لم يغنّ الناس بشعر أحد في الجاهلية وصدر الإسلام بمثل ما غنوا به من شعره. وقد أجاد في وصف ليل الخائف، واعتذار الجاني، ومدح المنعم، إجادة لا يتعلق بها درَك، إلا أنه كان يُقوِي في شعره ويقول: إن في شعري عاهة لا أدريها؛ حتى سمع مغنيًا يغني بأبيات من شعره فيها إقواء، ففطن إلى ذلك ولم يعد إليه. وقد عرف شعراء العرب له تلك المكانة السامية في الشعر فقدموه في عكاظ واحتكموا إليه في الخصومات الأدبية فكان يقضي بينهم موفّقَ القضاء مطاع الحكم.

نموذج من شعره:

قال من قصيدته في مدح عمرو بن الحارث الغساني:

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصب ... وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكب
وصدر أراح الليل عازبَ همه ... تضاعف فيه الحزن من كل جانب
عليَّ لعمرو نعمة بعد نعمةٍ ... لِوالدهِ ليست بذات عقارب

وثقت لـه بـالنصـر إذْ قيـل قَـد غَـزتْ ... كتـائـب مـن غسَّـان غـيـر أشـائـب
إذا مـا غَـزوا بـالـجيش حلق فـوقهـم ... عـصـائب طيـر تهـتـدي بـعـصـائـب
فـهـم يَـتـسـاقـوْن الـمـنيـةَ بـينـهـم ... بـأيـديـهـمُ بيضٌ رقـاق الـمـضـارب
ولا عـيـب فـيـهـم غـيـر أن سيـوفـهـم ... بـهـنَّ فـلولٌ مـن قـراع الـكـتـائـب
لـهـم شِـيمـةٌ لـم يعـطهـا الله غـيـرَهم ... مـن الجـود، والأحـلامُ غـيـر عـوازب
رقـاق الـنـعـال طـيـبٌ حُـجـزاتـهـم ... يُحيّـون بـالـرّيحـانِ يـوم السبـاسب
ولا يـحسـبـون الـخيـر لا شـرّ بـعـده ... ولا يـحسـبـون الـشـرَّ ضـرْبـةَ لازب

٥ ــ زهير بن ابي سلمى
٠٠٠ ـ ٦٠٩ م
٠٠٠ ـ ١٣ ق هـ

نشأته وحياته:

نشأ زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزَني في أقارب أبيه من بني غطفان، ولزم بشامة بن الغدير خال أبيه، وكان رجلاً مقعداً عقيماً حكيماً قد اشتهر بسداد الرأي وجودة الشعر ووفرة المال، فاغترف من شعره وتأثر بعلمه وحكمه، وظهر ذلك جليًا فيما رصع به شعره من درر الحكمة. ولما مشى الحارث بن عوف وهرم بن سنان المريان بالصلح بين عبس وذبيان وأطفآ نار الحرب بآحتمالهما ديات القتلى عن الحيَّين، وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير، استفزته هذه الأريحية فمدحهما بمعلقته. ثم تابع مدحه لهرم بن سنان وأطنب في ذلك حتى أقسم هرم ألا يمدحه زهير ولا يسأله ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرسًا. فستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه، وأصبح إذا رآه في ملأ من الناس قال عِمُوا صباحاً إلا هرمًا، وخيرَكم. استثنيت. وقال عمر بن الخطاب لبعض أولاد هرم: أنشدني بعض مدائح زهير في أبيك، فأنشده. فقال عمر: إنه كان ليحسن فيكم القول. فقال: والله ونحن كنا نحسن له العطاء. فقال عمر: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم وكان زهير على حِدَته رحب الأناة راجح الحصاة سديد الرأي شديد الورع مؤثراً للسلم مؤمنا بالله واليوم الآخر. يشهد بذلك قوله في معلقته:

---

٥ ـ انظر ترجمته في: فحولة الشعراء: ص ١٤ ـ ١٧، ٣٤، ٤١، ٤٢، ٤٨، ٤٩، ٥٢، وطبقات فحول الشعراء: ص ٥٢ ـ ٥٤، والمُعَمَّرون، ص ٨٣، والأغاني: ١٠/٢٨٨ ـ ٣٢٤، والحصري: ص ٥١ ـ ٥٢، وسِمْط اللآلىء: ص ٢٦١، وشواهد العيني: ٢/٢٦٧ ـ ٢٧١، ومعاهد التنصيص: ١/٣٢٧، ومعجم المؤلفين: ٤/١٨٦، ومراجع: ٣/١٣٩ ـ ١٦٤.

فـلا تـكـتُـمـنَّ الله مـا فـي صـدوركـم ليـخـفـي ومـهـمـا يُـكْـتَـمِ اللهَ يُـعْـلـمِ
يؤخَّـرْ فـيـوضـع فـي كِـتـاب فـيـدَّخـر لـيـوم حـسـاب أو يـعـجَّـلْ فـيُـنْـقَـم

وقد عمرَّ زهير حتى نيَّف على المائة كما يؤخذ من قوله:

بدا ليَ أني عشت تسعين حجـة تبـاعًـا وعَشـراً عِشتهـا وثمـانيـا

وتوفي قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة وقد أسلم ولداه كعب وبجُير.

شعره:

بيت زهير عريق في الشاعرية: فأبوه وخاله، وأختاه سلمى والخنساء، وولداه كعب وبجيْره، من الشعراء المذكورين، وذلك ما لم يكن لغيره. وهو كما علمت أحد الثلاثة الفحول. وفي الناس من يفضله على امرىء القيس والنابغة، لأن شعره يمتاز بصدق اللهجة، وخلوه من الحوشيِّ والتعقيد، وبعده عن سخف القول وهُجْر الحديث، وجمعه الكثير من المعاني في قليل من الألفاظ. وهو واحد من الشعراء في إجادة المدح وضرب المثل وإرسال الحكمة. وزهير من عبيد الشعر الذين تعملوه ونقحوه. وله قصائد تعرف بالحوليات يزعمون أنه كان ينظمها في أربعة أشهر ويهذبها في أربعة، ثم يعرضها على خاصة الشعراء في أربعة، فلا ينشدها الناسَ إلا بعد حول.

تحليل موجز لمعلقته:

موضوع معلقته كما علمت مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان المرِّيين على سعيهما بالصلح بين عبس وذبيان. ولكنه افتتحها على عادة الجاهليين بالوقوف على أطلال الأحبة وتحيتها ونعتها وتنسُّم الذكريات من خلال آثارها، فوقف على الدمن البكم الدوارس من ديار أمِّ أَوْفى بعد أن أتى على عهده بها عشرون سنة فلم يعرفها إلا بعد مشقة:

فلمـا عـرفت الـدار قلت لـربعهـا ألا عِمْ صباحا أيها الربع واسلم

ثم تمثلت في خاطره ظعائن الحبائب متحملات تغشيهن سدول صفيقة النسج، وكلَّه وردية الحواشي، فيتبعهن ببصرة الحزين وقلبه الواله، فيصف ما سلكنه من طُرُق وما نزلنه من منازل حتى يبلغن المنزل الذي أردنه، وما أجمل أسلوبه في استحضار هذه الذكرى، حتى لكأنها ماثلة للعيون فلو تَبَصَّر صاحبه قليلاً لرآها:

تَبَصَّـرْ خليلي هـل تـرى من ظعـائـن تحمَّلن (بـالعلياء) من فـوق (جـرثم)
تـلَوْن بـأنـمـاط عِـتـاق وكـلَّة ورَاء حـواشـيـهـا مـشـاكـهـة الـدم
بـكـرْن بكـوراً واستـحـرن بسحـرة فـهن لـوادي الـرس كـاليـد في الـفم
وفـيـهـن مَـلهـى لـلصـديـق ومـنـظرٌ أنـيـق لـعـيـن الـنـاظـر الـمـتـوسـم

فلما وردن الماء زُرقا جِمامة وضعن عِصيَّ الحاضر المتخيم

ثم انتقل على طريقة الاقتضاب إلى الرجلين اللذين حقنا بالصلح دماء العشيرة فقال لهما:

يمينا لَنِعم السيدان وجدتما على كل حال من سَحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عِطر مَنْشم
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الأمر نسلم
فأصبح يجري فيهمُ من تلادكم مغانم شتى من إفال المزَتم

ثم قطع المدح مؤقتًا ليدعو الخصوم إلى السلم في لين ورفق، ولكنه ذكر الحرب فاشتد وأنكر ما تجر على الناس من أوزار وأضرار:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المُرَجَّم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضرَ إذ ضربتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحا بثفالها وتلْقَحْ كِشافا ثم تحمل فتتئم
فَتُغْلِلْ لكم ما لا تُغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

ثم عاد إلى رجُليه فمضي في مدحهما على ما رأبا من صدع لم يحدثاه، ووصف همَّ ابن ضمضم بالجناية وعزمه عليها:

وكان طوي كشحاً على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتجمجم
وقال سأقضي حاجتي ثم أتقي عدوي بألف من ورائي مُلَجم
فشد ولم تفزع بيوت كثيرة لدي حيث ألقت رحلها أم قشعم
لدي أسد شاكي السلاح مُقْذَفٍ له لِبَد أظفاره لم تُقَلَّم
رعوا ما رعوا من ظِمْئهم ثم أوردوا غماراً تسيل بالرماح وبالدم
فقضَّوا منايا بينهم ثم أصدروا إلى كلإ مُسْتَوْبِلٍ متوخَّم

ثم غلبت عليه نزعته الإنسانية وطبيعته الفلسفية فوقف موقف الحكيم يتبرم بالحياة ويفكر في الموت ويعظ بالتجارب:

رأيت المنايا خبْط عشواء من تصب تمته ومن تُخطىء يعمَّر فيهرم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو نال أسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف من دونِ عرضه يفره، ومن لا يتَّق الشتم يشتم
ومن يجعل المعروف في غير أهله يعد حمده ذما عليه ويندم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم
وكائن ترى من معجِب لك شخصه زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف، ونصفٌ فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وإن سفاه الشيخ لا حلْم بعده وإن الفتى بعد السفاهة يحلم

٦ ـ الأعشى
٠٠٠ ـ ٦٢٩ م
٠٠٠ ـ ٧ هـ

نشأته وحياته:

هو أبو بصير ميْمون بن قيس بن جَنْدل أحد أمراءِ الشعر المتكسبين به القائلين في أكثر ضروبه. نشأ باليمامة في قرية تسمى منفوحة، وثَقِف الشعر من طريق الرواية على خاله المسيَّب بن علس، حتى إذا حصُف عقلُه وآرتاض لسانه، آنتجع أطراف البلاد وغشى أبواب الملوك يمدحهم ويستجديهم. وفد على بني عبد المدان ملوك نجران فأكرموا ثواءه وأجزلوا عطاءه، وآكتسب من خلاطهم إدمان العُقار، والتأثر ببعض الأفكار، فظهر شيء من ذلك في شعره ولا سيما وصف الخمر. وطال عمر الأعشى حتى آبيضت عيناه من الكبر. وسمع بأمر الرسول ﷺ فصنع في مدحه قصيدة وعزم الرحلة إليه بالحجاز، فأوجس القرشيون خيفة من إسلامه: وقال لهم أبو سفيان: واللّه لئن أتى محمداً أو آتبعه لَيَضَرِّمَنَّ عليكم نيران العرب بشعره، فأجمعوا له مائة من الإبل، ففعلوا، وأخذها الأعشى ورجع؛ حتى إذا دنا من اليمامة سقط من فوق ناقته فدقت عنقه.

شعره:

من الرواة وذوي البصر بالشعر من يجعل الأعشى رابعاً لامرىء القيس وزهير والنابغة. ويقولون: أشعر الناس آمرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهِب، والأعشى إذا طرب. وهذا وإن كان موضعاً للخلاف يدل على مكانة الرجل. وفي الحق أنك تجد في شعره ما لا تجد في شعر غيره من رونق الحسن، وطلاوة الأسلوب، والبراعة في وصف الخمر والإجادة مع الطول... وكان لشعره جَلَبَةٌ في السمع وروعة في النفس وأثر في الناس، فَسمي لذلك صَنَّاجة العرب. ولقد أعز بشعره وأذل؛ وقصته مع المحلق، وفَرَق القرشيين من إسلامه يدلان على ذلك.

---

٦ ـ انظر ترجمته في: النقائض: ص ٦٤٤، وفحولة الشعراء: ص ١٩، ٢١، ٣٦، ٤٢، ٤٨، ٥٢، والشعر والشعراء: ص ١٣٥ ـ ١٤٣ والمؤتلف والمختلف: ص ١٢، والعقد الفريد: ٣/٣٦٣، والأغاني: ٩/١٠٨ ـ ١٢٩، ومعجم الشعراء: ص ٤٠١، والموشح: ص ٤٩ ـ ٥٧، والمكاثرة: ص ٢، وسمط اللآلىء: ص ٨٣، ومعاهد التنصيص: ١/١٩٦ ـ ٢٠٢ وخزانة الأدب: ١/٨٤ ـ ٨٦.

نموذج من شعره:

ومن جيد شعره قصيدته اللامية التي عدها بعضهم من المعلقات ومطلعها:

ودّع هريرة إن الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟

ومنها:

أبلغ يزيد بني شيبان مألكة ... أبا ثبيْت أما تنفَكُّ تأتكل
ألست منتهياً عن نحْت أثْلتنا ... ولست ضائرها ما أطّت الإبل
كناطح صخرة يوماً ليوهنها ... فلم يَضرْها وأوهى قرنه الوعَل
لقد زعمتم بأنا لا نقاتكم ... إنا لأمثالكم يا قومنا قُتلُ
قالوا الطراد، فقلنا تلك عادتنا، ... أو تنزلون فإنا معشر نُزُل

ومن قصيدته التي أعدها لمدح الرسول قوله:

ألم تغْتمضْ عيناك أرمدا ... وبتّ كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما ... تناسيْت قبل اليوم خلة مهْدَدا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن ... إذا أصلحت كفّاي عاد فأفسدا
شباب وشيبٌ وافتقار وثروة ... فلله هذا الدهر كيف تردّدا!

ومنها:

فآليت لا أرثي لها من كلالة ... ولا من وجى حتى تلاقي محمدا
متى ما تنَاخِي عند باب ابن هاشم ... تُراحي وتلقي من فواضله ندى
نبيٌّ يرى ما لا يرون وذكره ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقاتٌ ما تغُبُّ ونائل ... وليس عطاء اليوم يمنعه غدا

٧ ـ عنترة العبسي

٠٠٠ = ٦١٥ م

٠٠٠ = ٢٨ ق هـ

نشأته وحياته:

هو أبو المغلِّس عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، نَجَلَه أب شريف وأم حبشية تدعى

---

٧ ـ انظر ترجمته في: فحولة الشعراء ص: ٢٧، ٣٥، ٤٤، ٦٣، والمغتالين: ص ٢١٠ ـ ٢١١، والأغاني: ٨/٢٣٧ ـ ٢٤٦، والمؤتَلِف والمختَلِف: ص ١٥١، ومعجم الشعراء: ص ٢٤٦، والموشح: ص ٨١، والشواهد: ١/٤٧٨ وخزانة الأدب: ١/٦٢.

زُبَيْبَة، فهو من هُجناء العرب وأغربتهم، فآنتفى منه أبوه منـذ ولادته على عـادتهم في أبناء الإماء، ولكنه نزع بنفسه عن حال العبودية، وأخذ يروض نفسه على الطراد والفروسية حتى غدا مِسْعر حـرب وقائـد كتيبة. وآتفق أن بعض أحيـاء العرب أغـاروا على عبس فآستـاقوا إبلهم، وتبعهم العبسيون وعنترة فيهم. فقال له أبوه: كرَّ يا عنترة. فأجابـه وهو يحقـد عليه استعباده إياه: العبد لا يحسن الكرّ، وإنما يحسن الحلب والصَّرَّ. فقال: كرّ وأنت حرّ. فكرّ وقاتل قتالاً شديداً حتى هزم المغيرين وآسترجع الإبل، فـآستلحقه أبـوه. وأخذ آسمـه منذ يومئذ يسير وذكره يطير حتى أصبح مضرب المثل في الإقدام والجرأة. وله في تعليل شهرته وشجاعته رأي حصيف لا بأس بذكره قال له قائل: أنت أشجع الناس وأشدهم، فقـال له: لا. قال فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أُقدِمُ إذا رأيت الإقدام عزماً وأُحجم إذا رأيت الإحجام حزمـاً، ولا أدخل مـوضعاً لا أرى لي منـه مخرجـاً. وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله.

قاد عنترة كتائب عبس في حرب داحس والغبراء فأحسن القيادة، وبلغ أوج السيادة. ثم تنفس به العمر حتى وهن عظمه ورق جلده وقتل حوالي سنة ٦١٥ م.

شعره:

لم يرو عن عنترة في حـال رقِّهِ من الشعـر جيد ولا رديء. لأن العبـودية تـرين على القلوب وتطفىء ضرام العواطف، فلما آستلحقه أبوه وحالفه الفوز في حربه، وآستولى حب عبلة على قَلبه، جاش الشعر في صدره وجرى على لسانه في الفخر والحرب والحب، فجاء بالمعجب المطرب. تجد لشعره حلاوة الغزل ومتانة الفَخر، إلا أن أكثره مدخول النسب لا يمتُّ إليـه إلا بتشابـه الأسلوب والغرض. فمن شعره الذي لا دَخلَ في أصله معلقته الرقيقة الفخمة التي نظمها دفاعاً عن شاعريته وإثباتاً لفصاحته: فقد حدثوا أن رجلاً من عبس سابَّه فذكر سواده وأمَّه. فقال له عنترة: «إني لأحضُرُ البأس، وأوفي المغنم، وأعف عند المسألة، وأجود بما ملكت يدي، وأفضل الخطة الصماء». فقال له السابُّ. أنا أشعر منك. فقـال: ستعلم ذلك. ثم غدا على الناس بمذهّبته المشهورة فقطع خصمه ونقض حكمه.

نموذج من شعره:

قال من معلقته:

ولقـد شربت من المـدامـة بعـد مـا ... ركـد الهـواجـر بـالمشُـوف المعلَم
فـإذا سكـرت فـإنني مستهـلك ... مـالي، وعـرضي وافـر لم يكـلَم
وإذا صحـوت فلا أقصِّـر عن نـدىً ... وكمـا علمتِ شمـائلي وتكـرّمـي
ومـدجّـج كـره الكمـاة نـزالـه ... لا مُـمعـنٍ هـربـاً ولا مـستـسلم

جادتْ يدايَ لهُ بعاجل طعنة ... بمثقَّبٍ صدق الكعوب مقوَّم
فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرَّم
فتركته جزَر السباع ينشنه ... يقضمن حسن بنَانه والمعصم
لما رأيتُ القومَ أقبل جَمعهم ... يَتذامرُونَ كررتُ غيرَ مذمَّم
يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لَبان الأدهم
ما زلت أرميهم بثُغرة نحره ... ولَبانه حتى تسربل بالدم
فازورَّ من وقع القنا بلَبانه ... وشكا إليّ بعبرة وتَحَمْحُم
لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلمي
ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمها ... قِيلُ الفوارس ويْك عنتر أقدِم!
والخيل تقتحم الغبار عوابسا ... ما بين شَيْظمةٍ وأجرد شيْظم

وقال أيضاً:

بكرتْ تخوفني الحتوفَ كأنني ... أصبحت عن غَرَض الحتوف بمعزِل
فأجبتها إن المنية منهلٌ ... لا بد أن أُسقَى بكأس المنهل
فآقْنَيّ حياءَك لا أبالك وآعلمي ... أني آمرؤ سأموت إن لم أُقتل
إن المنية لو تمثلُ مثَلتْ ... مثل إذا نزلوا بضنك المنزل
إني آمرؤ من خير عبسٍ منصباً ... شطري، وأحمي سائري بالمُنْصُل
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ... أُلفِيت خيراً من مُعِم مُخْول
والخيل تعلم والفوارس أنني ... فرقت جَمْعَهُم بضربة فيصل
والخيل ساهمة الوجوه كأنما ... تسقَى فوارسها نقيعَ الحنظل
ولقد أبيت على الطوى وأظله ... حتى أنال به كريم المأكل

٨ ــ طرفة بن العبد
٥٣٨ ـ ٥٦٤ م
٨٦ ـ ٦٠ ق هـ

نشأته وحياته:

نشأ طرفة بن العبد بن سفيان البكري يتيماً من أبيه، فكفله أعمامه. فأهملوا تربيته

---

٨ ـ انظر ترجمته في: فحولة الشعراء: ص ٤٢، ٥٨، ٥٩، وطبقات فحول الشعراء، للجمحي، انظر: فهرسه، والمؤتلف والمختلف: ص ١٤٦، الأغاني (ليس لطرفة ترجمة مستقلة، انظر: فهرسه، وإنما =

وأساءوا أدبه. فشب ميالاً إلى الدعة والتبطل، عاكفاً على اللهو والخمر. مولعاً بالوقوع في أعراض الناس. وقد دعاه نزق الشباب أن يهجو الملك عمرو بن هند على اضطراره إلى رضائه، وآفتقاره إلى حبائه فآحتقدها عليه عمرو وأضمر له السوء. حتى إذا جاءه مع خاله المتلمس يستجديان فضله ـ وكان المتلمس قد هجاه أيضاً ـ هش للقائهما يريد أن يُؤَمنهما، وأمر لكل منهما بصلة وأحالهما بكتابين على عامله بالبحرين ليستوفياها منه. فلما كانا في طريقهما إلى العامل، داخل المتلمس من الصحيفة وسواس وهمٌّ، فآلتمس من يقرأها له فإذا فيها: «باسمك اللهم، من عمرو بن هند إلى المكعْبَر، إذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فآقطع يديه ورجليه ثم آدفنه حيًّا» فألقى الصحيفة في النهر، ثم قال لطرفة: معك والله مثلها، فقال: كلا ما كان ليكتب لي مثل ذلك. وأخذ وجهه حتى أتى العامل بالبحرين فقتله وعمره ست وعشرون سنة.

شعره:

كان طرفة منذ الحداثة متوقد الذهن، مضطرم الشعور، حاد البادرة، فنبغ في الشعر وعُد من فحوله وهو دون العشرين. ولكنه كعمرو بن كلثوم لم يشتهر إلا بمعلقته. ولعله كان مكثراً وجهل الرواة أكثر شعره. يمتاز طرفة بصدق الوصف، والبعد عن الغلو فيه، إلا أنه كان معقد التراكيب مبهم المعنى غريب اللفظ، وتجد ذلك كله واضحاً في معلقته التي آبتدأها بالغزل، وآستطرد إلى وصف ناقته فوصفها بخمسة وثلاثين بيتاً من عيون الشعر ومبتكره، ثم أمعن بعد ذلك في الفخر بنفسه، وهي من أمتن الشعر وأبلغه، وهاك تحليلها بإيجاز.

تحليل موجز لمعلقته:

ابتدأها طرفة بذكر أطلال (خولة) وتشبيهها ببقية الوشم في ظاهر اليد؛ ثم وقف بها وقفة قصيرة تخيل فيها قباب الحبيبة غداة ظعنها فوصفها وصفاً موجزاً، ثم نعتها هي نعتاً جميلاً هاج في صدره الهم فنجا من تذكاره وآحتضاره على ناقة وصف أعضاءها وأوضاعها في إسهاب وإغراب وإجادة:

وإني لأمضي الهم عند آحتضاره ... بهوجاء مرقال تروح وتغتدي
تُباري عتاقاً ناجياتٍ، وأتْبعتْ ... وظيفاً وظيفاً فوق مَوْر مُعَبَّد
صُهابيّةُ العُثْنون مُوجَدةُ القرا ... بعيدة وخْد الرّحل موَّارة اليد

= يأتي ذكره في إطار أخبار المُتَلَمِّس، في المرجع السابق)، ومعجم الشعراء: ص ٢٠١ ـ ٢٠٢، والموشح، للمرزباني، انظر: فهرسه، وكتاب من اسمه عمرو: لابن الجراح: ص ٤٨، ومعاهد التنصيص: ١/٣٦٤، وخزانة الأدب: ١/٤١٣ ـ ٤١٧. ومعجم المؤلفين: ٥/٤٠، والمراجع: ٣/٢٢١ ـ ٢٢٧.

وأَتلعُ نهَّاضُ إذا صعَّدتْ به ... كسكَّان بُوصِيّ بدجلة مُصْعِد

ثم يفرغ لنفسه فيصفها باللهو في السلم وبالمخاطرة في الحرب فيقول:

إذا القوم قالوا: منْ فَتى؟ خلت أنني ... عُنيت فلم أكسل ولم أتبلد
ولست بحَلَّال التلاع مخافة ... ولكِنْ متى يسترفد القوم أرفد
فإن تبغني في حلقَة القوْم تلْقَني ... وإنْ تلتمسني في الحَوَانيتِ تصطد
ومَا زالَ تشرابي الخمور ولذتي ... وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتْلدي
إلى أن تحَامتني العشيرة كلها ... وأفرِدت إفراد البعير المعبَّد
رأيت بني غبراء لا ينكرونني ... ولا أهل هذاك الطراف الممدَّد
ألا أيهذا الزاجري أحضرَ الوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مُخْلدي؟
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي ... فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ثم يعلن في صراحة وصدق أن غايته من الدنيا إنما هي الخمر والحب والنجدة؛ ولولا هذه اللذات الثلاث ما رغب الحياة ولا رهب الموت:

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... لعمرك لم أحفل متى قام عُوَّدي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة ... كُميْتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تزبد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنة تحت الخباء المعمد
وكرِّي إذا نادى المضاف مُجَنَّباً ... كسيد الغضى ذي السوَّرة المتورد

ثم يدعوه استعجاله اللذة ومبادرته اللهو وإتلافه المال وآقتحامه الخطر انتهازاً لفرصة الحياة وآستمتاعاً بقصر العمر إلى نوع من الفلسفة في البخل والموت فيقول:

أرَى قبرَ نحَّام بخيل بماله ... كقبر غوِيٍّ في البطالة مفسد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدّد
أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة ... وما تنقِص الأيامُ والدَّهرُ ينفدِ
لعمرك إنَّ الموتَ ما أخطأ الفتى ... لكالطَّوَل المُرْخي وثِنْيَاهُ باليد
متى مَا يشأ يوما يقده لحتفه ... ومَنْ يَكُ في حبل المنيَّة يَنقدِ

ويمضي الشاعر بعد ذلك زارياً على ابن عمه، شاكياً من ظلم قومه، مفتخراً بحسن بلائه وقوة عزمه:

فمالي أراني وابن عميَ مالكاً ... متى أدنُ منهُ يَنْأَ عني ويبعد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً ... عَلَى النفس من وقع الحسام المهنّد
أرَى الموت أعدادَ النفوس ولا أرَى ... بعيداً غداً، ما أقرب اليوم من غد!
أنا الرجل الضَّرْبُ الذي تعرفونه ... خشاشٌ كرأس الحية المتوقد
إذا آبتدر القوم السلاح وجدتني ... منيعاً إذا بَلّتْ بقائمه يدي

فلو كنتُ وغـلا في الرِّجـال لضرَّني عـداوةُ ذي الأصحـاب والمتـوحـد
ولكن نفى عني الـرِّجـال جـراءتي عليهم وإقـدامي وصدقي ومحتـدي
ستبـدي لك الأيـام ما كنت جـاهلاً ويـأتيـك بـالأخبـار من لم تـزوِّد

٩ ــ عمـرو بن كلثـوم

٠٠٠ ـ ٥٨٤ م

٠٠٠ ـ ٤٠ ق هـ

نشأته وحياته:

نشأ عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي بالجزيرة الفراتية بين ذوي الحسب اللبـاب من تغلب، وشبَّ على خـلال العظمـاء عزيـزَ النفس أبيَّ الضيم ذَرِبَ اللسان. ومـا كاد ينـاهز الخامسة عشرة من عمره حتى كان طريقة قومه وقائد قبيلته. وكان قطباً لرحـا الحروب التي دارت بين بكر وتغلب من جرَّاء البسوس وأبلى فيها البلاء الحسن حتى تصالح الحيان لآخر مرة على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنـذر. على أن أمَدَ ذلـك الصلح لم يطل، فآنشقت العصا بين وجوههم ونَزَتْ رؤسهم الحفيظة، وتلاحوا في مجلس عمـرو بن هند، فقام الحارث ابن حِلزة شاعـر بكر وألقى معلقتـه المشهورة فعـطفت هوى الملك إلى قومه، وكانت ضِلعه مع التغلبيين. فآنصرف ابن كلثوم موغر الصدر على ابن هند. وحدث بعد ذلك أن الملك قال لبعض خاصته. أتعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي؟ فقالوا لا نعلمها إلاّ ليلى أم عمرو بن كلثوم، فإن أباها مهلهل بن ربيعة، وعمها كليب وائل، وبعلها كلثوم بن عتّاب فارس العرب، وابنها عمرو بن كلثوم سيد قومه. فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزيرَ أمَّه أمَّه. فأقبل عمرو وأمه من الجزيرة في جماعة من تغلب. وأمر الملك برواقة فضرب مـا بين الحيرة والفـرات، وأرسل إلى وجـوه مملكته فحضروا. وكان عمرو بن هند قد أغرى أمه أن تستخدم ليلى بنت مهلهل في قضاء أمر. فلما دخلت عليهـا الرواق وآطمـأن بها المجلس، قـالت لها: نـاوليني الطبق. فـأجابتهـا: لتقم صاحبة الحاجة إلى حـاجتها. فلمـا ألحت صاحت ليلى: واذلاه! فسمعهـا ولدهـا فثار بـه الغضب وقتل ابن هند في مجلسه. ثم عاد تواً إلى الجزيرة فأنشد قصيدته المعلقة. استهلها

---

٩ ـ انـظر تـرجمتـه في: فحـولـة الشعـراء: ص ١٩، ٤٣، ٦٠، وطبقـات فحـول الشعـراء: ص ١٢٧، والمعمَّـرون: ص ٣٠٦، والشعر والشعـراء: ص ١١٧ ـ ١٢٠، والأغاني: ٤٢/١١، وفي المـرجـع السـابق: ص ٥٦ ـ ٦٠، والمؤتلف والمختـلف: ص ١٥٥ ـ ١٥٦، ومعـجم الـشعـراء: ص ٢٠٢ والمـوشح: ص ٨٠، وجمهـرة أشعـار العـرب: ص ٣١، ٧٤، وسمط اللآلىء: ص ٦٣٥ ـ ٦٣٦، وخزانة الأدب: ٥١٩/١ ـ ٥٢١.

بذكر الخمر والغزل، ثم وصف فيها أمره مع عمرو بن هند، وآفتخر بنفسه وقومه. ولقد تجاوبتها المجامع وتناقلتها الألسنة وأكثر بنو تغلب من إنشادها وروايتها حتى قال فيهم الشاعر.

ألهى بني تغلب عن كل مكرُمة ... قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أوَّلهُم ... يا للرجال لشعر غير مسئُوم!

وكانت وفاته في أواخر القرن السادس للميلاد.

شعره:

عمرو بن كلثوم شاعر غَمْرُ البديهة، رائق الأسلوب، نبيل الغرض؛ إلا أنه مُقلٌّ. لم يتقلب في فنون الشعر فلم يُرخ العنان لسليقته، ولم يطع سلطان قريحته. وكل ما رُوي عنه معلقته وبعض مقطوعات لا تخرج عن موضوعها.

نموذج من شعره:

قال من معلقته:

أبا هند فلا تعجلْ علينا ... وأنْظرْنا نُخبّرك اليقينا
بأنا نورد الراياتِ بيضا ... ونصدرهنّ حمراً قد رَوينا
ورثنا المجد عن عليّا معدّ ... فطاعن دونه حتى يبينا
كأن سيوفنا منا ومنهم ... مخاريقٌ بأيدي لا عبينا
ألا لا يَجْهلن أحد علينا ... فنجْهلَ فوق جهل الجاهلينا
بأي مشيئة عَمْرو بن هند ... تطيع بنا الوشاة وتزدرينا؟
فإن قناتنا يا عمرو أعْيتْ ... على الأعداء قبلك أن تلينا
وقد علم القبائل من مَعَدّ ... إذا قُببٌ بأبطحها بُنِينا
بأنا المطعمون إذا قدرنا ... وأنا المهلكون إذا آبتُلِينا
وأنا المانعون لما أردنا ... وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون إذا سخطْنا ... وأنا الآخذون إذا رضينا
ونشرب إن وردنا الماء صفواً ... ويشرب غيرنا كدراً وطينا
إذا ما المَلْك سام الناس خسفاً ... أبَيْنا أن نقر الخسف فينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا ... وماء البحر نملأه سفينا
إذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ ... تخر له الجبابر ساجدينا

١٠ ـ الحارث بن حِلِّزَةَ
٠٠٠ ـ ٥٧٠ م
٠٠٠ ـ ٥٠ ق هـ

نشأته وحياته:

هو أبو الظليم الحارث بن حِلِّزَةَ اليشكري البكري. كان في بني بكر مكان عمرو بن كلثوم في بني تغلب. وقد آشتهر مثله بمعلقته التي يقال إنه ارتجلها عَفْو الساعة في حضرة الملك عمرو بن هند يستدني بها عطفه، وينضح فيها عن قومه. وكان من أمرها أن بكراً وتغلب بعد أن وضعوا أسلحتهم أمام عمرو بن هند على أن يأخذ من الفريقين رهائن ليَقيد منها للمبغى عليه من الباغي، تراشق الحيَّان بالتهم ورمت تغلب بكراً بالغدر، وتدافع الفريقان إلى عمرو بن هند وتلاحوا أمامه، وكان هواه مع التغلبيين. فآستفز ذلك الحارث بن حلزة ـ وكان حاضراً ـ فآبْتَدَه قصيدته ابتداهاً وأنشدها وهو متكىء على قوسه. فيقولون إن كفه آقتطعت وهو لا يشعر من الغضب. وقد أجاد في مدح الملك حتى آستولى على رأيه، ومال به إلى حزبه، وآستل من قلبه سخيمة غرسها تهور النعمان بن هرم زعيم قومه. وعُمِّر الحارث طويلاً حتى زعم الأصمعي أنه أنشد هذه القصيدة وله من العمر خمس وثلاثون ومائة سنة.

شعره:

كل ما بين أيدينا من شعره معلقته وبعض مقطوعات يسيرة لا تعلل شهرته ولا تعَيِّن طبقته. فهو في هذا كما قلنا أشبه بطرفة وعمرو بن كلثوم. على أن مطوّلته بلغت مكان الإعجاب لإحكام نسجها وتشعب فنونها، وآرتجالها في موقف واحد. وقد قال أبو عمرو الشيباني. «لو قالها في حول لم يلم» ويقولون: إنه أنشدها من وراء ستور لِبَرَصِه، فأمر الملك برفعها استحساناً لها وتكرمة له. بدأها بالغزل ثم وصف ناقته وعير التغلبيين مواقع ظهروا عليهم فيها، وأتى على كثير من أيام العرب، ومدح عمرو بن هند، وآفتخر بقومه وحسن بلائهم عنده.

---

١٠ ـ انظر ترجمته في: فحولة الشعراء: ص ١٩، ٥٩، وطبقات فحول الشعراء: ص ١٢٧ ـ ١٢٨، وشرح ابن الأنباري على المعلقات، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٤٣١ ـ ٤٣٢، والمؤتلف والمختلف: ص ٩٠، والأغاني: ١١/٤٢ ـ ٥٠، ص ٧٧، وسمط اللآلىء: ص ٦٣٨ ـ ٦٣٩، والمزهر: ٢/٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨٧. ومعاهد التنصيص: ١/٣١٠، وخزانة الأدب: ١/١٥٨.

نموذج من شعره:

قال من معلقته:

إن إخـوانـنـا الأراقـم يـغـلـو ... ن عـلـيـنـا فـي قِـيـلـهـم إخـفَـاءُ
يخلطون البريءَ منّا بـذي الـذَّنـ ... ـب ولا يـنـفـع الـخـليّ الـخـلاء
أيـهـا الـنَّـاطـق الـمـرَقِّش عـنّـا ... عـنـد عـمـرو وهـل لـذاك بقـاء؟
لا تـخَـلـنـا عـلـى غـراتـك إنـا ... قـبـل مـا قـد وشى بقـا الأعـداء
فـبـقـيـنـا عـلـى الـشـنـاءَةِ تـنـمـيـ ... ـنَـا حـصـونٌ وعـزَّةٌ قـعـسـاء
مَـلِكٌ مُـقـسطٌ وأفـضـل مـنْ يـمـ ... ـشي ومن دون مـا لـديـه الثنـاء
أيـمـا خُـطـةٍ أردتـم فـأدُو ... هـا إلـيـنـا تـسعى بـهـا الأمـلاء
فـاتـركـوا الـطـيـخ والتعـاشي وإمَّـا ... تتعـاشـوا ففي التعـاشي الـدَّاء
واذكـروا حِلفَ ذي المجاز ومـا قـدّ ... م فِـيـه الـعـهـود والـكُـفـلاء
واعـلـمـوا أنـنـا وإيـاكُـم فـيـ ... ـمَـا اشترطنا يـوم اختلفنَا سَـواء
أعـلـيْـنـا جـنـاح كـنـدة أن يـغـ ... ـنـمَ غـازيـهـمُ ومـنّـا الـجـزاء؟

ومنها في وصف التأهب للرحيل:

أجـمـعـوا أمـرهـم عشـاء فـلمَّـا ... أصبحـوا أصبحت لهم ضـوضـاء
مـن منـاد ومـن مجيب ومـن تصـ ... ـهـال خـيـلٍ خـلال ذاك رُغـاء

ومنها:

لا يـقـيـم الـعـزيـز بـالـبلد الـسهـ ... ـلِ ولا ينفـع الـذليـل النَّجـاء
لـيس ينـجي مـوائـلاً مـن حـذارٍ ... رأس طـودٍ وحـرَّةٌ رجْـلاء

١١ ــ لبيد بن ربيعة

٥١٤ ≃ ٦٦١ م

١٠٤ ق هـ ≃ ٤١ هـ

نشأته وحياته:

هو أبو عُقيل لَبيدُ بن ربيعة العامري. نشأ رَبِيب الندى والبأس. فأبوه ربيعةُ المعتَرّين،

---

١١ ـ انظر ترجمته في: فحولة الشعراء: ص ٢٨، ٤٢، والنقائض: ص ٢٠١، ٣٨٧، ٦٦٨، والمؤتلف والمختلف: ص ١٧٤، والأغاني: ١٥/٣٦١ ـ ٣٧٩، والمكاثرة: ص ٢٣، وسِمْط اللآلىء: ص ١٣، وخزانة الأدب: ١/٣٣٧ ـ ٣٣٩، ٤/١٧١ ـ ١٧٥. ومعجم المؤلفين، لكحالة ٨/١٥٢ ـ ١٥٣.

وَعمه مُلاعب الأسنَّة فارس مضر. وسبب قوله الشعر أن الربيعة بن زياد أمير عبس، وهم أخواله، دخل على النعمان بن المنذر فذكر بالسوء بني عامر وهم قومه. فلما دخل العامريون على الملك وعلى رأسهم مُلاعب الأسنة غضَّ منهم، وذوى وجهه عنهم، فنال ذلك من بني عامر وشق عليهم. وكان لبيد يومئذ صغيراً فسألهم أن يشركوه في أمرهم فآستصغروه. ولما ألح في المسألة أجابوه. فوعدهم أن ينتقم لهم بهجاء الربيع حتى يحول بينه وبين منادمة الملك. فقالوا له: إنا نبلوك. فقال: وما ذاك؟ قالوا: تشتم هٰذه البقلة. وأمامهم بقلة دقيقة القضبان، قليلة الورق، لاصقة بالأرض، تُدعى الثَّرَبة. فقال: «هذه التربة لا تذكي ناراً ولا تؤهل داراً، ولا تسر جاراً؛ عودها ضئيل، وخيرها قليل، وفرعها كليل أقبح البقول مرعى، وأقصرها فرعا، وأشدها قلعاً» فأذنوا له فهجاه بأرجوزة مُقْذِعة أولها. مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه الخ.

فنفر منه الملك ومقته وطرده وأكرم العامريين وأدناهم. قالوا وكان هذا أول ما آشتهر به لبيد. ثم أخذ يقول الشعر قصاره وطواله، حتى ظهر الإسلام فأقبل على الرسول في وفد من قومه فأسلم، وحفظ القرآن وهجر الشعر، حتى زعموا أنه لم يقل بعد الإسلام إلا بيتاً واحداً وهو:

الحمد للَّه إذْ لم يأتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا

ولذلك عُدَّ جاهلياً وإن عمِّر في الإسلام طويلاً.

ولما مُصرت الكوفة ذهب إليها في خلافة عمر وأقام بها حتى توفي في أول خلافة معاوية سنة ٤١ من الهجرة. وقد عاش كما قيل خمساً وأربعين سنة ومائة حتى قال بحق:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤالِ هذا الناس كيف لبيد

شعره:

كان لبيد ضافيَ الجود، وافر اللب، نبيل النفس، جم المروءة، مُشيَّع القلب. فسالت أخلاقه وعواطفه في شعره، وتمثلت معاني النُّبل والكرم في فخره؛ وجاء نظمه فخم العبارة، منضد اللفظ، قليل الحشو، مزداناً بالحكمة العالية والموعظة الحسنة والكلم النوابغ. ولعله أحسن الجاهليين تصرفاً في الرثاء وأقدرهم على تصوير عواطف المحزون الصابر بلفظ رائق وأسلوب مؤثر.

وأما معلقته فهي قوية الألفاظ متينة الأسلوب، تصور حياة البادية وأخلاق البدو، وتصف هوى النفوس الماجنة ومطمح القلوب الكبيرة.

بدأها بوصف الطلول وذكرى الحبيبة، ثم أطال في وصف ناقته على نحو ما فعل طرفة، ثم مضى يصف حياته وملذاته وجوده وبأسه حتى انتهى إلى الفخر بقومه، وكل ذلك في صدق وإخلاص وقصد.

نموذج من شعره:

قال في معلقته:

إنـا إذا التقت المجامـع لم يـزل ... منّـا لِـزازُ عـظيمـة جشّـامُهـا
ومُقسَمٌ يعـطي العشيـرة حقهـا ... ومُغَـذْمِـرٌ لحقـوقهـا هضـامهـا
مـن معـشـر سنّت لهـم آبـاؤهـم ... ولـكـل قـوم سُنَّـةٌ وإمـامـهـا
لا يَـطْبعـون ولا يَبُـور فعـالهـم ... إذ لا تميـل مـع الهـوى أحلامهـا
فـآقنـع بمـا قسم المليـك فـإنمـا ... قسم الـخـلائق بيننـا عـلّامهـا
وإذا الأمـانَـةُ قُسِّمت في معشـر ... أوفى بـأوفـر حـظنـا قسَّـامهـا
فبنى لنـا بيتـاً رفيعـاً سَمكـه ... فسمـا إليـه كهلهـا وغـلامهـا
وهم السعـاة إذا العشيـرة أفْـظعَتْ ... وهمُ فـوارسهـا وهـم حكـامـهـا
وهـم ربيـعٌ لـلمحـاور فيـهـمُ ... والمـرمـلاتِ إذا تـطاول عـامهـا

وقال يرثي أخاه إريد:

بَلينـا ومـا تَبْلى النجـوم الـطوالـع ... وتبقى الـديـارُ بعـدنـا والمصـانـعُ
وقـد كنت في أكنـافِ جـار مَضِنَّـة ... ففـارقني جـار بـأربَـدَ نـافـع
فـلا جـزع إن فـرق الـدهـر بيننـا ... فكل آمرىء يـوماً بـه الدهـر فاجـع
ومـا النـاس إلا كـالـديـار وأهلهـا ... بهـا يـوم خلّوهـا وراحـوا بـلاقـع
ومـا المـرء إلا كـالشهـاب وضـوئـه ... يَحُـور رَمـاداً بعـدَ إذ هـو سـاطـع
ومـا الـمـال والأهلون إلا ودائـع ... ولا بـد يـومـاً أن تـردَّ الـودائـع
ومـا النـاس إلا عـاملان فعـاملٌ ... يُـتبِّـرُ مـا يـبنـي وآخـر رافـع
فـمنـهم سـعيـد آخـر بـنصيـبـه ... ومنهم شقيٌ بـالمعيشـة قـانـع
لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ... ولا زاجـراتُ الطيـر ما اللّه صـانـع

١٢ ـ حاتـم الطـائـي
٠٠٠ ـ ٥٧٨ م
٠٠٠ ـ ٤٦ ق هـ

نشأته وحياته:

حاتم بن عبد اللّه بن سعد بن الحشرج الطائي توفي أبوه وهو وليد فنشّأته أمه وكانت

---

١٢ ـ انـظر تـرجمتـه في: فحولـة الشعـراء: ص ٢٦، ٤٤، والكُنَى: ص ٢٨٩، والشعـر والشعـراء: ص ١٢٣ ـ ١٣٠، والموشح: ص ٨١، وسمط اللآلىء: ص ٦٠٦ ـ ٦٠٧، وتهذيب ابن عساكر: =

كثيرة المال، نفَّاحة اليدين بالنوال، لا تليق مما تملك شيئاً، فحجر عليها إخوتها وحبسوها سنة علها تذوق طعم البؤس، وتدرك فضل الغنى. فلما أطلقوها وملكوها قطعة من مالها أتتها آمرأة من هوازن مستجدية فمنحتها إياها وقالت: مسني من الجوع ما آليت معه ألا أمنع سائلاً شيئاً.

ربَّته هذه الأم الوهوب، فورَّثته هذا الخلق وغذته بلبانه، فشبَّ على الندى يهتزُّ له ويغلو فيه حتى بلغ منه حد السفه. فكان وهو غلام عند جده يُخرج طعامه، فإذا وجد من يؤاكله أكل وإلا طرحه. فساءه منه هذا التبذير فألحقه بالإبل، فمر به ذات يوم عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني وهم في طريقهم إلى النعمان فآستقروه، فنحر لكل منهم بعيراً وهو لا يعرفهم. فلما تسمَّوا له فرق فيهم الإبل وكانت قرابة ثلاثمائة! وجاء جدَّه مبتهجاً يقول له: «طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة» وحدثه بما صنع، فقال له: إذن لا أساكنك. فقال: إذن لا أبالي. ثم قال من أبيات:

وإني لعفُّ الفقر مشترك الغنى ... وتارك شكل لا يوفقه شكلي
وأجعل مالي دون عرضيَ جُنَّةً ... لنفسي وأستغني بما كان من فضلي
وما ضرني أن سار سعدٌ بأهله ... وأفردني في الدار ليس معي أهلي

وفشا ذكر حاتم في الجود، وجرت سماحته مجرى المثل، وروي عنه في ذلك الأعاجيب وأكثرها من صرف الحديث. وما سبيل الرواة في أخبار حاتم في الجود إلا سبيلهم في أشعار أمية في الدين، وعنترة في الحماسة، وأبي العتاهية في الزهد، وأبي نواس في المجون: يفتعلون الشيء من ذلك لغرض من الأغراض ثم يعزونه إلى من هو أشبه به من هؤلاء.

وكان حاتم كما قال ابن الأعرابي مظفّراً. إذا قاتل غلب؛ وإذا سابق سبق، وإذا ضرب بالقداح فاز. وكان إذا أهل الشهر الأصم (رجب) ـ وكانت مضر تعظمه في الجاهلية ـ نحر كل يوم عشراً من الإبل فأطعم الناس وآجتمعوا إليه.

ثم بنَى حاتم على النوار ثم على ماوية بنت عفزر إحدى بنات الملوك من اليمن، فولد له منهما عبد اللَّه وسَفَّانةُ وعدي؛ وقد أدرك هذان الإسلام فأسلما.

ولم يزل حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب المال حتى مضى لسبيله سنة ٦٠٥ م[1].

٣/٤٢١ ـ ٤٢٩، وخزانة الأدب: ١/٤٩٤ ـ ٤٩٥، ٢/١٦٣ ـ ١٦٦، والأعلام. للزركلي: ٢/١٥١، ومعجم المؤلفين: ٣/١٧٣، والمراجع: ٣/١١ ـ ١٤.

(١) والأصح أنه توفي سنة ٥٧٨ هـ، لأن المؤرخين أرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ. راجع المصادر التي أخذنا منها الترجمة.

أخلاقه:

كان حاتم على خلق عظيم قلَّ من أُوتيه في الجاهلية: كان طويل الصمت رقيق القلب جم المروءة لم يقتل قط واحدَ أمه، ولم يظل ضعيفاً من بني عمه:

فـإنـي وحـدّي رُبّ واحـدِ أمّـه ... أجـرتُ فـلا قتـلٌ عليـه ولا أسـر

ولا أظلم ابن العم إن كـان إخـوتي ... شهـوداً وقد أودى بـإخـوتـه الـدهـر

وقد وصفته سفَّانة ابنته يوم قامت بين يدي الرسول ﷺ ترجو أن يخلي عنها وهي سبيَّةٌ قالت: كان أبي يفك العاني ويحمي الذِمار ويقَري الضيف ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط. فقال لها الرسول ﷺ يا جارية هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه. خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق.

شعره:

لا جرم أن اللسان ترجمان القلب، والشعر مرآة الشعور. وما قدمناه لك من أخلاق حاتم تجده متمثلاً في شعره، مؤثراً في قَرْضه؛ فلفظه سهل رقيق، وأسلوبه به محكم وثيق، وغرضه سامٍ شريف، على غير ما نعهد في شعراء البادية. ولذلك قال ابن الأعرابي: «جوده يشبه شعره» ومعنى ما يقول أنه غزير البحر فياض بالأمثال والحكم الداخلة في باب الجود والعذل فيه، وجمال الذكر والحرص عليه. وما ترى من التفاوت في شعره إنما يرجع إلى كثرة المدسوس عليه والمنسوب زوراً إليه، وهو من شعراء الطبقة الثانية. وقد جمع شعره في ديوان وطبع بليدن وبيروت.

نموذج من شعره:

قال من قصيدة له:

أمـاويَّ إن الـمـال غـادٍ ورائـح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أمـاويَّ إمـا مـانـعٌ فـمـبـيَّـنٌ ... وإمـا عـطاء لا يُنَهْنهـه الـزجـر

أمـاويَّ مـا يغني الثـراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

أمـاويَّ إن يصبحْ صـداي بقفرة ... من الأرض لا مـاءٌ لـدي ولا خمـر

تَـرَى أن مـا أنفقت لم يـك ضـرني ... وأن يـدي ممـا بخلت بـه صفـر

أمـاويَّ إن الـمـال إمّـا بـذلتـه ... فـأولـه شـكـر وآخـره ذكـر

وقـد يعلم الأقـوام لـو أن حـاتمـاً ... أراد ثـراء المـال كـان لـه وفـر

وقال أيضاً:

تَحلم عـن الأدْنيـن وآستـبْق ودّهـم ... ولن تستـطيـع الحلم حتى تَحلمـا

ونفسَـك أكـرمهـا فـإنـك إن تَهُن عليـك فلن تلقى لها الـدهرَ مُكـرما
أهِنْ في الـذي تهـوى التـلادِ فـإنـه يصيـر إذا مـامت نهْبـا مقسَّمـا
قليـلاً بـه مـا يحمـدنَّـك وارثٌ إذا سـاق ممـا كنت تجمـع مغنمـا
متى تـرْقِ أضغان العشيـرة بـالأدنى وكف الأذى يحسم لك الداء محسما
وعوراءَ قد أعرضتُ عنْها فلم تضِرْ وذي أوَدٍ قـومـتـه فـتـقـومـا
وأغفـر عـوراءَ الكـريـم آدِّخَـارَه وأعـرض عن شتم اللئيم تكـرمـا
ولن يكسب الصعلوك مجداً ولا غنى إذا هـو لم يركب من الأمـر معظمـا
لحـا اللَّه صعلوكـاً منـاه وهمُّـه منَ العيش أن يلقي لبـوساً ومَـطْعما

ومن معانيه الجميلة قوله:

إذا كـان بعض المـال ربـا لأهله فـإني بحمـد اللَّه مـالـي معبَّـد

١٣ ـ أميـة بن أبي الصلـت

٠٠٠ ـ ٦٢٦ م

٠٠٠ ـ ٥ هـ

نشأته وحياته:

أبو عثمان أمَيّة بن أبي الصلت الثقفي كان يمـارس التجارة طَـوَال عمره، فتـارة إلى الشام وتارة إلى اليمن. وكان مفطوراً على التدين، فلقي في بعض أسفاره بعض القسيسين والرهبان فسمع شيئاً من الأسفار الأولى فآلتمس الدين ولبس المسوح وحرم الخمر وشك في الأوثان وطمع في النبوة، وقال في دين إبراهيم.

كـل دين يـوم القيـامـة عنـد اللـ ـه إلا ديـنَ الـحـنـيـفـة زور

فلما بُعث الرسول ﷺ سُقِط في يده وكفر به حسداً وقال: إنما كنت أرجو أن أكونه. فنزل فيه قوله تعالى. ﴿**وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ**﴾[1]. ثم أخذ يحرض على الرسول ويرثي قتلى أعدائه في واقعة بدر، فنهى عن رواية شعره في ذلك. وكان إذا سمع الرسول شعره في التوحيد يقول: آمَن لسانه وكفر قلبه. ثم فرّ أمية بآبنته إلى أقصى اليمن وعاد إلى الطائف فعلقَتْه هناك أوْهاقُ المنية. وقد قال لما

---

١٣ ـ انظر ترجمته في: فحولـة الشعراء: ص ٣٣، وطبقـات فحول الشعـراء: ص ٢٢٠ ـ ٢٢٤، والكنى: ص ٢٨٩، والأغـانـي: ٤/١٢٠ ـ ١٣٣، ٨/٣٢٧ ـ ٣٣٣، وسمط الـلآلـىء: ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣، وتهـذيب ابن عساكـر: ٣/١١٥ ـ ١٢٨. والمراجـع: ٢/٦٣ ـ ٦٧، ودائرة المعـارف الإسـلاميـة: ٤/١٠٨٠ ـ ١٠٨١.

(١) سورة: الأعراف، الآية: ١٧٥.

أخذته غشية الموت وأفاق منها: لبيكما لبيكما! هأنذا لـديكما لا مـال يفديني، ولا عشيـرة تنجيني! إن تغفر اللهم تغفر جماً، وأيُّ عبد لك لا ألما؟ ثم أقبل على من حضر وقال:

كـل عـيش وإن تـطاول دهـراً ... مـنتـهى أمـره إلـى أن يـزولا
ليتني كنت قَبـل مـا قـد بـدا لي ... في رؤس الجبـال أرعى الـوعـولا
اجعل الموتَ نصْب عينيـك وآحذر ... غَوْلـة الـدهـر، إن للدهـر عـولا

وأكثر تاريخ هذا الشاعر من زور الحديث وتلفيق الرواة.

شعره:

انصرفت قريحة أمية إلى المعاني الدينية فآشتهر بها أمره، وآصطبغ بها شعره، فوصف اللّه وجلاله، وذكر الحشر وأهواله، ونعت الجنة والنار والملائكة، ونظم حوادث التوراة كخراب سدوم وقصة اسحاق وإبراهيم، وأدخل في الشعر معاني وأساليب، وفي اللغة ألفاظاً وتراكيب، لم يألفها الشعراء ولم يعرفها العرب بعض ذلك من العبرية وبعضه من محدثاته فكان يسمي اللّه عز اسمه فالسُّلَطيط والتغرور، والسماء بالصاقورة والحاقورة، ويزعم أن للقمر غلافاً يدخل فيه يوم الخسوف آسمه الساهور؛ ولذلك كان اللغويون لا يحتجون بشعره.

ومذهب ابن أبي الصلت في شعره لم يعهد في عصره، فنحله العلماء ما جاء على شاكلته ولم يعرفوا قائله. ورواة الشعر يعدونه في الطبقة الأولى، ولكن ما بين أيدينا من شعره لا يؤيد هذا الرأي، فإن أكثره قلق اللفظ سخيف النسج نابي القافية، إلا أن يكون الزمان قد عفى على أجوده. فقد قال الحجاج على المنبر: «ذهب قوم يعرفون شعر أُميَّة، وكذلك اندراس الكلام».

نموذج من شعره:

قال يعاتب ابناً له كان قد عقه:

غـذوتـك مـولـوداً ومُنْتُـك يـافعـاً ... تُعَـل بمـا أجني عليـك وتنهـل
إذا ليلة نـابَتْـك بـالشجـو لم أبت ... لـشكـواك إلا سـاهـراً أتـململ
كأني أنا المطروق دونـك بـالـذي ... طـرقت بـه دوني، فعيني تـهمـل
تخـاف الـردى نفسي عليـك وإنني ... لأعـلم أن المـوت حتم مـؤجـل
فلمـا بلغتَ السنّ والغـايـة الـتي ... إليهـا مـدى مـا كنت فيـك أؤمـل
جعلتَ جـزائي غلْظة وفـظاظـة، ... كـأنـك أنت المنعم المتفـضـل

ومن قوله:

الحمـد للّه مُمْسـانـا ومُصْبحنَـا ... بـالحمـد صبَّحنـا ربي ومسَّـانـا

رب الحنيفـة لم تنـفـد خـزائنـه مـملوءة، طـبَّـق الآفـاق سـلطانـا
ألا نـبـي لـنـا مـنـا فـيـخـبـرَنـا مـا بعـد غـايتنا من رأس محيـانـا
وقـد علمنـا لـو أن العلم ينفعنـا أنْ سـوف يلحق أخْـرانـا بـأولانـا

نشـأة الخـط في بـلاد العـرب

الخط مظهر من مظاهر الحضارة، وأثر من آثار الاجتماع والتجارة. لذلك كان أسبقَ الأمم إليه المصريون والفينيقيون. وأجهـل الناس بـه البدويـون، فلم يعرفـه العرب إلا في الجهة التي عرفتها الحضارة وآرتقت فيها العمارة وهي اليمن. كان اليمنيون يستعملون خطاً يسمونه المسند بآسم لغتهم، يكتبونه حروفاً منفصلة ويزعمون أن الـوحي نزل على كـاتب هود. ولكن المكتشفات الأثرية وعلم مقارنة اللغات أثبتت أن الخط الفينيقي مصدر الخطوط السامية، وأن الآرامي والمسند بأنواعه مشتقـان منه، ومن الآرامي آشتق الخط النبـطي في حوران، والسطر نحيلي السرياني في العراق، وهذان الخطان هما الأصلان للخط العربي، فمن الأول تولد الشكل النسخي، ومن الثاني تولد الشكل الكوفي، وكان يعرف قبل الإسلام بالحيرى نسبة إلى الحيرة. وقد تعلم عرب الشمال الأول أثناء رحلاتهم إلى الشام، وتعلموا الآخـر من الأنبار: تعلمـه بِشْرُ بن عبـد الملك الكندي أخـو أكيْدِر بن عبـد الملك الكندي صاحب دومة الجندل؛ وخرج إلى مكة فصاهر حرب بن أمية جد معاوية، فعلمه جماعةً من القرشيين فكثر من يكتبه منهم. ولما مُصّرت الكوفة وشاع آستعماله في الكتابة على مسجدها وقصورها ناله شيء من النظام والزخرف فسمي بالكوفي.

مصری مقدس هیروغلیفی	مصری الفاظ هیراطیقی	مصری الفاظ دیموطیقی	آرامی	فینیقی	سطر خطی	نبطی	حمیری او کوفی	عربی حدیث
𓄿	𓄿	𓄿	𐡀	𐤀	𐤀	𐡀	𐩱	ا
𓃀	𓃀	𓃀	𐡁	𐤁	𐤁	𐡁	𐩻	ب
𓂝	𓂝	𓂝	𐡂	𐤂	𐤂	𐡂	𐩲	ج
𓂧	𓂧	𓂧	𐡃	𐤃	𐤃	𐡃	𐩵	د
𓄡	𓄡	𓄡	𐡄	𐤄	𐤄	𐡄	𐩭	ه
𓆑	𓆑	𓆑	𐡅	𐤅	𐤅	𐡅	𐩺	و
𓆓	𓆓	𓆓	𐡆	𐤆	𐤆	𐡆	𐩹	ز
𓉔	𓉔	𓉔	𐡇	𐤇	𐤇	𐡇	𐩮	ح
𓄤	𓄤	𓄤	𐡈	𐤈	𐤈	𐡈	𐩸	ط
𓂋	𓂋	𓂋	𐡉	𐤉	𐤉	𐡉	𐩾	ی
𓂧	𓂧	𓂧	𐡊	𐤊	𐤊	𐡊	𐩫	ك
𓃭	𓃭	𓃭	𐡋	𐤋	𐤋	𐡋	𐩧	ل
𓈖	𓈖	𓈖	𐡌	𐤌	𐤌	𐡌	𐩣	م
𓈖	𓈖	𓈖	𐡍	𐤍	𐤍	𐡍	𐩤	ن
𓊪	𓊪	𓊪	𐡎	𐤎	𐤎	𐡎	𐩰	س
𓂋	𓂋	𓂋	𐡏	𐤏	𐤏	𐡏	𐩯	ع
𓊪	𓊪	𓊪	𐡐	𐤐	𐤐	𐡐	𐩬	ف
𓂋	𓂋	𓂋	𐡑	𐤑	𐤑	𐡑	𐩥	ص
𓎡	𓎡	𓎡	𐡒	𐤒	𐤒	𐡒	𐩪	ق
𓂋	𓂋	𓂋	𐡓	𐤓	𐤓	𐡓	𐩨	ر
𓈙	𓈙	𓈙	𐡔	𐤔	𐤔	𐡔	𐩡	ش
𓏏	𓏏	𓏏	𐡕	𐤕	𐤕	𐡕	𐩦	ت